البيان

ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا

مجلة شهرية ، أدبية ، فكرية ، تصدرها رابطة الادباء الكويتيين   العدد الثاني   مايو ١٩٦٦

البيان

المراسلات: ص. ب: ٥٤٧٥ - الكويت
الاعلانات يتفق بشأنها مع الادارة - ت ٢٤٢٣٦٢

محتويات العدد التالي

شعر

بريد البيان

باشراف: هداية السلطان سالم

بعد صدور العدد الاول من « البيان » حمل الينا البريد طائفة من رسائل الاخوة الأدباء والقراء المهتمين بقضايا الفكر والادب مباركين بصدور « البيان » راجين ان تكون لسان الأديب الكويتي الصادق.

ومع التهاني، وافانا الاخوة بعديد من الملاحظات والقصائد والمقالات، المقالات تتناول الشكل والمحتوى، وفيها ما هو وجيه وما هو في غير مكانه. والقصائد والمقالات، منها الجيد ومنها ما يشر بملكات أدبية وشعرية مرموقة اذا اتيح لاصحابها الصقل والمران وواظبوا على الكتابة والنظم دون ان يداخلهم اليأس.

واذ ترحب البيان بكل كلمة نقد هادفة، لخدمة الادب في الكويت والوطن العربي، ترجو الاخوة والاصدقاء ان تكون كتاباتهم على وجه واحد من الورق، لضرورات التحرير والطبع.

وفيما يلي اشارة سريعة الى بعض ما وردنا:

الى السيد الياس اسمير – الكويت:

شكراً على عاطفتك الطيبة. تجاه « البيان » ونقدك حول مقالي السيدة هداية سلطان السالم عن الشعر الحديث، والاستاذ راضي صدوق عن كتاب (أخبار النساء) لابن القيم الجوزية. وكان من الواجب ان يتسم نقدك بالموضوعية فتناقش الافكار التي تضمنها مقال السيدة هداية بأسلوب علمي يعتمد الحجة والفكرة، ويقرع المنطق بالمنطق.

أما عن قولك بأن « الشاعر راضي صدوق » صب سائر اهتمامه على الاخطاء المطبعية في (أخبار النساء) فليس ذلك صحيحاً.. ذلك ان المقال المذكور أشار الى السقطات والثغرات الفنية في تحقيق وشرح الكتاب. كما أشار الى الاخطاء اللغوية والعروضية فيه. لكن الكاتب آثر ان يكون رفيقاً بالمحقق من غير عنف أو اثارة. انسجاماً مع منهجه الخاص في البحث والدراسة.

وبالنسبة لاستحسانك المقارنة التي عقدها الاستاذ خالد سعود الزيد بين الشابي وفهد العسكر. فنحن نشكرك عليه ونقدر بالتالي اهتمامك وحرصك على ان تقول رأيك في العدد الاول من « البيان » التي تأمل ان تأتي اعدادها المقبلة على أفضل ما تستطيع وبشاء القراء والدارسون.

يبقى قصيدتك التي بعثت بها الينا بعنوان « الحزن العميق » وقد أحلناها الى الجهة المختصة لدراستها وابداء الرأي بصددها في العدد المقبل..

تراجم

نقد وتحليل

دراسات

قصة

الأخ علي عبد العزيز العلي – المنامة – البحرين :

شكراً لاهتمامك (بالبيان) وشكراً لتهنئتك اسرة التحرير أما انك تضعها كمجلة أدبية ثانية . فثقة نعتز بها وان كنا سنواصل الجهد حتى تصل الى المستوى الذي نرضاه لها .
بخصوص اقتراحاتك الثلاثة . نقول : كون المجلة أدبية لا يحول دون نشر الاعلانات فيها . لأن الطباعة تحتاج الى نفقات . ولأن الاعلان هو من الموارد الشريفة .
وثانياً : المجلة على استعداد لنشر كل انتاج جيد .
وثالثاً : نعتقد ان ركن القراء موجود . بدليل هذه الاجابة على رسالتكم . ونكرر شكرنا على تهانيكم المتكررة .

السيد عبد الكريم العبد الله – الكويت :

شكراً على تهنئتك . ونرجو الله ان يوفق « البيان » لاداء واجبها نحو الادب والادباء . قصيدتك « بان الأحبة » . لا هي بالشعر الموزون ولا هي بالشعر المرسل ، والقافية وحدها لا تكون قصيدة . لا يزال امامك شوط طويل للغاية .. قبل ان تنظم شعرا . ابدأ بالنثر . فلعل وعسى ..
شرط ان تتعلم قواعد اللغة أولا ......

الأخت بدرية الشطي – الاحمدي :

شكراً لك على رسالتك الرقيقة . وعاطفتك الأرق . ويسرنا ان نرى الكثير من انتاجك . بشرط التركيز ويهمنا ان نؤكد لك يا أخت بدرية ان « البيان » هدفها اظهار المواهب وتقديمها .
كلمتك عن بنت الشاطىء . ممتازة . الا اننا نعتذر عن نشرها لان حياة الدكتورة بنت الشاطىء . ليست مجهولة . وليس في كلمتك عنها أي جديد ..

السيد أحمد عبد الله أحمد – الاحمدي :

مقالك عن المنزل والمدرسة في المجتمع الكويتي مقال جيد جداً . يدل على أصالة تفكير . وعلى تمرس بشؤون التربية .
أما لماذا لم ننشره يا سيد أحمد . فلانه سبق ان نشر باسم آخر منذ مدة وجيزة في احدى الصحف المحلية . فابعث لنا بانتاجك لا بانتاج سواك !!



يا دعد

عبد العزيز العندليب

سَلَبَتْنِي بالطَّرْفِ الأحور
وَسَبَتْنِي بالخَدِّ الأحمرْ
أخذتْ قلبي مَلَكَتْ لبي
بجبينٍ كالبدْرِ الأزهرْ
فتكتْ بحشايَ لواحظُها
فأردتُ الصَّبْرَ ولم أقدر
سَلْ مقلتَها عمَّا فَعَلَتْ
بفؤاد متيمها المضطَّرْ
نظرتْ نحوي ثمَّ ابتسمتْ
من ثغر أعذبَ منْ (كوثر)
أنا لا أدري ماذا يجري
فالحبُّ له شأنٌ آخرْ
ولنا ذوق وبنا شوق
فلنا منهُ الحظُّ الأوفر

....

رفقاً يا « دعدُ » إلى مَ
البعد وأينَ الوعدُ بما يُذكَرْ
أنا مفتونٌ بكِ مجنون
وأحبُّكِ حباً لا يُنكَرْ
قد طال الصدُّ وجازَ الحدَّ
فهلْ يمتدُّ إلى أكثرْ

القلب في شعر الشابي

فاضل خلف

أصبح ابو القاسم الشابي ملء القلوب والاسماع بأشعاره الخالدة التي غناها في عمره القصير فأخذت تشق آفاق الادب فتزدهر بها دنيا العرب .

وقد أثبت الشابي وجوده الادبي منذ ان أخذت الصحافة المصرية تنقل قصائده الممتازة الى العالم العربي ممثلة في مجلة ابولو للدكتور أحمد زكي أبي شادي ، ثم سكت هذا البلبل عن التغريد عندما داهمه الموت وهو في ربيع العمر وبواكير الشباب .

ولم تتوقف الصحافة العربية عن اعادة نشر آثاره الخالدة بين الفينة والأخرى مدة عشرين عاما حتى ظهر اول كتاب عنه في المشرق العربي كتبه أبو القاسم محمد كرو الذي جمع اكبر مجموعة من آثاره الشعرية عرفت حتى ذلك الوقت ، فتنبه الكتاب الى عبقرية الشابي ، واخذت الدراسات الادبية عنه تتزايد حتى بلغت العشرات في المشرق العربي ومغربه .

وليست هذه الدراسات الادبية الكثيرة التي كتبت عنه هي وحدها التي طيرت صيته في آفاق العروبة كما قال بعض النقاد ، ولكن شعره الخالد العامر بالفن والابداع هو الذي جعل له هذا الصيت الطائر في الافاق الادبية ، بالاضافة الى تلك الكتب والدراسات الكثيرة ..

ويكفي ان تذكر تونس في اقطار العرب لكي يقفز الى الذهن شاعرها الخالد ابو القاسم الشابي ببيتيه المشهورين :



اذا الشعب يوماً اراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد ان ينكسر

وليس هذا الحديث حديثاً شاملا عن ابي القاسم الشابي حتى نسترسل في الحديث عنه وعن فنه ، وانما يهمنا ، في هذه العجالة التحدث عن القلب في شعره .

لقد فاضت اشعار الشابي من اعماق قلبه ، لذلك فليس من الغريب ان نجده يكثر من مناجاة هذا القلب أو ذكره في كثير مما نظم من شعر .

وآثار الشابي بشعرها ونثرها معجونة بدم القلب كما هو واضح لكل متتبع لها ..

والادب الخالد هو ذلك الذي يفيض من القلب ، بعد ان صهرته الحياة بنارها المقدسة ، فيتهادى في الافاق ليدخل في كل قلب ينبض بالحياة والحب والجمال .

لقد ذكر الشابي القلب في اربع وستين قصيدة ، وكرر هذه الكلمة مرات في القصيدة الواحدة ، فاذا كانت قصائد الشاعر في مجموعها هي اثنان وتسعون قصيدة تبين لنا انه لم يذكر القلب في ثمان وعشرين قصيدة فقط ، وهذا هو ما استرعى انتباهي وأنا اقرأ قصائد الشاعر .

لقد تردد ذكر القلب في شعر الشابي بصفة المفرد والجمع مائة وسبعاً وتسعين مرة ، وجاء ذكر الفؤاد بصفة المفرد والجمع ثماني وثلاثين مرة .

وليس الفؤاد هو مدار بحثنا هذا ، ولكننا ذكرناه بصورة عابرة لان القلب والفؤاد شيء واحد ولان الشاعر عندما يذكر الفؤاد انما يعني القلب ، فيكون الشاعر قد ذكر قلبه وفؤاده مائتين وخمسة وثلاثين مرة في شعره .

ولم نتطرق لذكر القلب في نثره لان الموضوع هو (القلب في شعر الشابي) .

ولا أزعم هنا ان هذا الحصر قد جاء كاملا ، اذ ربما فاتتني كلمة هنا وكلمة هناك ، وانا أدرس قصائد الشاعر .

والقلب في شعر الشابي حسبما اراه يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام :

أما القسم الأول فقد ذكر في عرض الكلام كأية لفظة اخرى يستعملها الشاعر وان كان يغلب عليها جميعا روح الحزن والتشاؤم .

ويضم القسم الاول هذه القصائد :

خلف للموت — أبناء الشيطان — فكرة الفنان — غرفة من يم — حديث المقبرة — أيها الليل — الحانى السكرى — الاعتراف — شكوى اليتيم — الدنيا الميتة — الزنبقة الذاوية — فلسفة الثعبان المقدس — الدموع — الذكرى — دموع الألم — مناجاة عصفور — الطفولة — المساء الحزين — بقايا الخريف — في فجاج الالام — يا رفيقى — إلى الموت — صفحة من كتاب الدموع — يا موت — شجون — إلى عذارى افروديت (بقسميها الاول والثانى) — وقيود الاحلام — وقصيدة بدون عنوان وتحمل علامة استفهام ، ومطلعها : أرى هيكل الايام .

أما القسم الثانى فهو أعمق من القسم الاول نتيجة لثورة نفسية عند الشاعر الذى يتحول الشعر عنده إلى اوتار حزينة ترجع انغاما يتردد صداها في اعماقه ، وهذا القسم الذى يخاطب فيه الشاعر قلبه ، تطفح به هذه القصائد :

أغنية الاحزان — الغاب — اغنية الشاعر — إلى البلبل — جدول الحب — الجنة الضائعة — نشيد الاسى — قلت للشعر — ارادة الحياة — أغانى التائه — إلى الله — إلى قلبى التائه — أنا ابكيك للحب — صلوات في هيكل الحب — ارائك في ظل وادى الموت — السعادة — من أغانى الرعاة — ذكرى صباح — تحت الغصون — إلى الشعب — نشيد الجبار — إلى طغاة العالم — والنبي المجهول » .

وتجدر الاشارة هنا إلى ان قصيدتي دموع الألم ، في القسم الاول ، وإلى البلبل في القسم الثانى ، هما قصيدتان غير مذكورتين في الديوان وقد اثبتهما « توفيق بكار » في العدد الثامن من حوليات الجامعة التونسية ضمن دراسة شاملة بعنوان « مشاركة في دراسة ابى القاسم الشابى بمناسبة مرور ثلاثين سنة على وفاته » .

والقسم الثالث من شعر القلب عند ابى القاسم الشابى هو غاية الغايات في هذا الباب اذ تتحول الانغام في قلب الشاعر إلى ملاحم

تغنى اروع الاناشيد ، انها ملاحم من شعر القلب ستبقى خالدة مع الايام ترددها الاجيال على مر الدهور ، وهذه الانغام تنبعث من قصائده :

« يا شعر – قلب الأم – الابد الصغير – قلب الشاعر – أكثرت يا قلبي فماذا تروم – وإلى قلبي التائه » .

وليس من الغريب أن يموت الشابى بمرض القلب بعدما انهكته الحياة باسرارها الغامضة ومضايقاتها المرهقة ، فقد ارهقت الايام هذا القلب بما تحمله من هموم وارزاء حتى أصبح عليلا لا يقوى على مجابهة شؤون الحياة القاسية .

ولابد هنا من الاشارة إلى المقال القيم الذى كتبه الدكتور محمد فريد غازى عن « مرض أبى القاسم الشابى » في مجلة الفكر في عددها الثالث من السنة الخامسة ، الصادر في ديسمبر ١٩٥٩ ، فيه يرى القارئ العلاقة بين مرض الشاعر وعبقريته .

فمرض الشابى هو الذى اوهن قواه ونال من قلبه الحساس كل منال حتى صرعه وهو في أول الطريق .

وكان قلب الشاعر يحوى كل اسرار الحياة بهمومها ومتاعبها ، ولم يقتصر هذا القلب الحساس على حمل شؤون الحياة الحاضرة ، ولكنه شمل كذلك حيوات العصور الغابرة والقادمة بكل ما فيها من شؤون وشجون .

فكم في قلب الشابى ، كما يقول في قصيدته « الابد الصغير » من دنيا محجبة ، وكم فيه من كون قد اتقدت فيه الشموس وعاشت فوقه الامم ، وكم فيه من افق تنمقه الكواكب ، وكم فيه من قبر قد انطفأت فيه الحياة وكم فيه من غاب ومن جبل ، وكم فيه من كهف قد انبجست منه الجداول ، بل ان قلبه كون مدهش لا يعرف الناس له آفاقا .

وتحيا في قلبه كما يقول ، في قصيدته « قلب الشاعر » كل ما هب وكل ما دب وكل ما نام وكل ما حلم على هذا الوجود ، من طيور وزهور وشذى وينابيع واغصان وبحار وكهوف وذرى وبراكين ووديان وضياء وظلال ودجى وفصول وغيوم ورعود وثلوج وضباب واعاصير وامطار ، وتعاليم ودين ورؤى واحاسيس وصمت ونشيد .

ان هذه الظواهر كلها تحيا حرة غضة السحر ، في قلبه كاطفال الخلود ، بل ان الموت وأطياف الوجود ترقص في قلبه الرحب العميق وتعصف أهوال الدجى وتخفق احلام الورود وتهتف اصداء الغناء وتعزف الحان الخلود ، وفي قلبه تمشى الامانى والهوى والاسى في موكب فخم وفيه فجر لا ينتهى وليل لا يبيد ، بل ان فيه ألف خضم ثائر خالد الثورة ، مجهول الحدود ، وتحيا فيه كل آن صور الدنيا وتبدو من جديد .

اليس في كل هذا معان جديدة تستحق منا الاعجاب والتقدير والوقوف خاشعين في محراب الشاعر المقدس الذى ضم قلبه كل اسرار الحياة وغوامض الوجود ؟

وابو القاسم الشابى شاعر متشائم وان وجدت في شعره ومضات باهتة من التفاؤل ، فهى ومضات الامل التى لولاها لما استطاع الشاعر أن يبقى لحظة واحدة في هذه الحياة .

وروح التشاؤم هذه تجعل قارئ شعره يصاب بالالم وهو يساير الشاعر في رحلته الطويلة الشاقة عبر الالام في هذه الحياة .

وعندما يجد الشاعر ان الحياة ترهقه بآلامها يتلفت عله يرى مواسيا او معيناً فلا يرى غير قلبه . وأرى ان الشابى عندما يناجى قلبه يجد راحة نفسية في هذه المناجاة ، كأن قلبه قوة اخرى منفصلة عنه ، قوة رحيمة تخفف عنه بعض ما يعانيه من آلام . لذلك فهو يكثر من مناجاة القلب بهذا الشعر الذى يخفف عنه بعض ما يقاسيه من الارهاق .

وهو يعلم علم اليقين انه يصهر قلبه ولا يصهر آلامه ، ومن الامثلة على هذا ما ورد في قصائده – ياشعر – وإلى قلبي التائه – وأكثرت ياقلبي فماذا تروم .

ولعل اروع نغمة موسيقية ابدعها الشابى في شعر القلب هى قصيدة « قلب الأم » هذه القصيدة التى تتحول إلى مأساة عنيفة بين يدى القارئ وهو يتلو فصولها الحزينة .

وقلب الام هو القلب الحنون الذى يشيع في العالم البهجة والسرور ليشقى في الحياة .. انه القلب الذى يبعث الانوار في القلوب حتى يخفت النور في اعماقه .

وفي هذه القصيدة يصور الشاعر طفلا فارق الحياة فنسيه الناس وشغلتهم الحياة عن ذكره ولم يبق الا قلب واحد على العهد ، ذلك هو « قلب امه » الذى يسمع الاصداء البعيدة لصوت هذا الطفل الراحل ، في خرير الساقية ورنة المزمار ، ولغو الطيور الشادية ، وضجة البحر المجلجل ، وهدير العاصفة ولجة الغابات ، وصوت الرعود القاصفة ونغية الحمل الوديع ، واناشيد الرعاة ، وبين المروج الخضر وفي آهة الشاكى ، وضوضاء الجموع الصاخبة ، بل في كل اصوات الوجود .

ويرى قلب الام ، كما تصوره ريشة الشاعر ، هذا الطفل في صور الطبيعة ، في رقة الفجر الوديع في الليالى الحالمة ، في فتنة الشفق البديع ، في لمعة البرق الخفوق ، في مشهد الغاب الكئيب ، في ظلمة الليل ، في الكهوف العارية .

ونختم هذا الحديث عن قلب الشابى ، بقوله في « جنته الضائعة » :

تمشى على قلبي الحياة ويزحف الكون الكبير

وهو خلاصة ما ورد في حديثنا هذا .. ذلكم هو قلب ابى القاسم الشابى الذى خفق بالحب والحياة ، وارسل نغماته الجميلة تتهادى في آفاق العرب مغاربها ومشارقها .

انه القلب الذى غنى حتى صهرته الايام .

وانه القلب الذى وهب حتى صرعته الحياة .

لقد صهرت الايام وصرعت الحياة في الحقيقة ، قلب الشاعر الذى هو من لحم ودم . أما قلبه الادبى فهو خالد خلود الدهر مع قلوب العباقرة الخالدين .

فاضل خلف

الشاعر

خالد محمود الزيد



صبٌّ بداعبهُ الجمالُ فيسجعُ ... تَحِلقتْ بألحانِ الصَّبابة مُولَعُ
يوحي اليكَ بيانه عن رقـّةٍ ... كالبُلبلِ الغرّيدِ لا يتصنَّعُ
يسقيكَ كأسَ الحزنِ وهـو معرِّدٌ ... ويذيبُ فيـكَ الأُنسَ وهو الموجَعُ
نَشوانُ من خمرِ الحشاشةِ نسجهُ ... والى الحقيقـةِ وِردُه والمنزعُ
في صمتِـه سـرٌّ وفي انشـادِهِ ... سِحْرٌ ، يفرّقُ ما يشاءُ ويجمـعُ
يَرنو الى الافـقِ البعيد بلحْظِهِ ... فاذا الوُجـودُ بناظريْه مجمّعُ

* *** *

بشرٌا تراهُ فمـا يَروعُكَ مظهرٌ ... منْ شَكله وكأنّما هو بَلقَـعُ
حتى اذا فـاضتْ مدامعُ قلبه ... وطَغىٰ الشعورُ ومـا لذلكَ مدفعُ
يَتَهـدُ كالجبلِ الأشمّ ممزّقـاً ... صمتَ الوجودِ وأينَ فيـه المفزعُ

شاعر من البحـ



منذ أكثر من شهر وانا أحاول أن أجد فرصة للكتابة عن الشاعر البحراني غازي عبد الرحمن القصيبي وعن ديوانه الاخير « قطرات من ظمأ » .. وفي كل مرة اعتزم ذلك أراني – في غمرة مشاغلي الخاصة – مضطرا لتأجيل الكتابة .. وكل مرة أفعل ذلك أشعر بالندم .. ربما لانني كنت في فترة من فترات حياتي قريبا من الشاعر .. استمع اليه كثيرا .. واستمتع بشعره أكثر . ولعل الامانة تدعوني الآن ، أكثر من أي وقت مضى ، للكتابة عنه رغم فاصل الزمن الذي يمتد إلى عشر سنوات منذ آخر مرة رأيت فيها الشاعر .. ورغم فاصل المكان .. ولعله ليس من الغرور في شيء أن اقول بأنني أشعر احيانا بانني ملزم بأن أكتب عن الشاعر لاسباب اهمها ان ولادة شاعر على ضفاف الخليج العربي ليس امرا عاديا ، خاصة بعد المحل الفكري الذي جمد الكلمة الجميلة وحبسها عن الانطلاق فترة امتدت أكثر من عشرين عاما ..

انطلاقا من هذه المقدمة فانني أدعو القارئ معي في جولة – قد تكون سريعة ولكنها ضرورية – برفقة الشاعر غازي القصيبي ..

قبل سنوات – ربما أربع – صدر أول ديوان للشاعر يحمل عنوان « اشعار من جزائر اللؤلؤ » كان باكورة أعماله في ميدان الشعر .. واذكر انني كتبت للشاعر يومها رسالة خاصة ضمنتها رأيي في الديوان بما لا يخرج عن ان الشاعر وضع نفسه في اطار معين لم يخرج عنه .. هو الشكوى والتبرم بالحياة وبالحب وبالمرأة . وعبت على الشاعر ساعتها هذا الاتجاه المتشائم ، رغم انني اعرف عنه انه يفيض حيوية ويفيض مرحا .. ولم أكن اعرف تفسيرا لهذا الاتجاه .. فقد كانت كل ظروفه توحي بأنه يعيش الحياة دون عقد ، ودون التزامات من أي نوع .. يضاف إلى ذلك مركزه الاجتماعي المرموق .. وكونه مازال يزحف على اعتاب الشباب واذا جاز أن يقال بأن بعض الناس يولدون وفي افواههم ملاعق من ذهب .. فان غازي ينضوي تحت لواء هذه الفئة المترفة التي لم تدخل ابداً في صراع مع لقمة الخبز .. كما عبت على الشاعر ايضا في حينه انه لم يكن صاحب قضية .. فقد كانت كل قضيته هي الفشل في الحب .. او ربما الفشل في ممارسة الحب .. واستكثرت عليه ذلك .. فان من في مثل شبابه ووسامته ووضعه الاجتماعي لا يمكن ان يضج بالشكوى من الحرمان العاطفي ..

ذلك كله قلته عندما صدر أول ديوان للشاعر . واليوم أعود من جديد لأكتب عن ديوانه الثاني « قطرات من ظمأ » الذي صدر منذ شهور ..

و « قطرات من ظمأ » يضم ثلاثا وعشرين قصيدة .. منها ما كتب بالطريقة العمودية .. ومنها ما كتب بالطريقة الجديدة .. ولدى قراءتي للديوان قصيدة قصيدة .. احسست أن ما قلته عنه قبل أربع سنوات وما عبته عليه في « أشعار من جزائر اللؤلؤ » يجب أن أقوله مرة أخرى .. فغازي الشاعر المتشائم اليائس في « اشعار من جزائر اللؤلؤ » يطل علينا من جديد بثوبه القديم في ديوانه الجديد .. رغم بعض القصائد التي أفلتت منه فجاءت تعبيرا يكاد يصل إلى مرحلة الصدق الكامل ..

كما قلت .. الضياع والشكوى والبرم واليأس هي كل عدة غازي في « قطرات من ظمأ » حتى الاسم الذي اطلقه على

رين .. وقطرات من ظمأ

نقد وتحليل : علي السيار

الديوان يحمل هذه البصمات .. ولو قد صدق غازى مع نفسه أكثر لأبدل اسم الديوان من « قطرات من ظمأ » إلى « قطرات من ضياع » ..

ولكن لماذا يشكو الشاعر .. وممن ؟ هل هو يشكو البعد عن الوطن ؟ وهل تلك هي مأساته الحقيقية ؟ ربما .. ولكن ذلك غير واضح تماماً .. فان احساسه ببعده عن وطنه يتداخل احياناً مع احساسه بالفشل في الحب .. او ربما الفشل في ممارسة الحب بالطريقة التي يفرضها المجتمع وبالصورة المشوهة التي تضيع معها الكرامة الانسانية بكل ابعادها ..

في شرقنا لا يكرم الحب ولا يهان ..
لا يمدح لا يذم .
لكنه يعيش في الظلام .
في نظرة خلف النقاب .
في همسة تلعثمت وراء فم .
في ناهدين ارتعشا .. تحت الثياب ..
في شرقنا لا يعرف الحب الضياء .
الا اذا باركه دق الطبول .

ان المرأة هنا في نظر غازى قضية لها عمقها ولها فلسفتها .. فهي ما زالت رهينة السجن الذي شيدته لها آلاف القيم المترسبة في اعماقنا .. انها كائن غير موجود – اذا صح التعبير – فهي تعيش بقانون الحركة فقط .. ولكنها تموت كل يوم بقانون النقاب وبقانون الظلام الذي يعشش في رأسها .. وبقانون الطبول الذي تختم به مأساتها كانسان حيث تبدأ رحلة أخرى في طريق الظلام .. رحلة ان تبيض وان تفرخ وان تملأ الحياة بطوابير أخرى من الطفيليات المشلولة .

ولكن غازى لا يقف عند هذا المفهوم .. فان الرؤية تضيع منه .. ويفقد الوضوح والتعبير في قصائد أخرى .. ويمارس الضياع . واكاد احس وأنا اعبر القصائد في « قطرات من ظمأ » قصيدة قصيدة .. ان الضياع هو قضية غازى :

اني أجهل حتى مقصدي
اتمنى انني لم اولد
أنا في قفر حياتي ضائع
سار في الركب بخطو مجهد
لفني الليل فما ادري وقد
وئد النور .. بماذا اهتدى
اين امضي ؟.. يا سؤالا لم يزل
ظامئا .. يقرع سمع الابد .
هذه الرحلة .. ما أغربها ..
أترى ندرى مداها في غد ؟



واذا كان الضياع – كما احسته انا – هو قضية غازي فان الحرمان هو الطابع الذي يسود قصائده .. وفي تساؤلاته الكثيرة التي طرحها على نفسه نراه يكشف سر هذا الحرمان في



سألتني في عتاب
ماذا وراء اكتئابي .
وفيم اشكو الليالي
والعمر غض الاهاب
وفيم والارض أرضي ..
احيا رهين اغتراب
وما لشعري تمليه
حشرجات عذاب
غريرة القلب مهلا
فلست تدرين ما بي
أنا أمامك .. لكن
دنياي خلف الضباب

شكواي اني سجين .
في عالم من تراب ..
وان درب ظنوني
لا ينتهي عند باب
وان ما ابتغيه
يفوق ظن طلابي
وان اهواء قلبي
خداعة كالسراب

وانها تتلاشى
كأنها من حباب

ومع ذلك فانه احياناً يعرف اين يتجه وفي أي طريق يسير .. ولكنه رغم هذه المعرفة نراه يتوه في بحر الضياع .. فهو يسأل نفسه لماذا يعيش .. ولماذا يودع عاما ليستقبل عاما آخر .. انها التساؤلات الخالدة نفسها التي عبرت الحياة جيلا بعد جيل .. على السنة الشعراء .. وعلى السنة الفلاسفة وعلى السنة المفكرين . منذ سقراط . ومرورا بالمعري . حتى ايليا أبو ماضي .. وكما ضاق اولئك بالسؤال وقضوا دون ان يلجوا باب السر الكبير .. كذلك يضيق غازى .. بل ان غازى فوق ضيقه بالسؤال يضيق بحياته :

الهي .. سألتك .. خذني اليك
فان حياتي ضاقت علي ..

هكذا .. وبمنتهى البساطة يصل غازى الى الطريق المسدود .. وبعد اذ لم يعد في مقدوره ان يستوعب الوجود . لا يجد مناصاً من ان يتوخى الرحيل .. يتوخاه بسلبية .. بل بالاغراق في السلبية . انه الحل الاوحد لعبء وجوده .. وغازى هنا ربما كان صادقاً مع نفسه اثر لحظة انفعالية مشحونة باليأس والالم وعبء الوجود العابث اللاهي .. وهو يكرر هذا المعنى في اكثر من قصيدة .. وفي اكثر من مكان .. ولعل أصدق ما يعبر عن سلبيته وانهزاميته قصيدته « سأسكر » التي يبلور فيها هذا المعنى بصورة تكاد تصل الى مرحلة الشلل التام :

سأسكر حتى ارى عالمي المشوه حث الخطى وارتحل

ولكن سؤالا آخر يثور في نفسي .. ترى الى أي مدى تصدق سلبية غازى من خلال شعره ؟؟ يخيل الي احياناً ان السلبية في اغراقها تتحول الى عمل ايجابي شجاع لا يقدر عليه الا اناس على قدرة خارقة في مواجهة اللحظة الفاصلة .. تماماً كالمنتحر حين يعجز عن مواجهة المجتمع .. ولكنه لا يعجز عن تحدى ومواجهة الموت .. ترى هل يصح ان يكون غازي واحدا من هؤلاء ؟ ليس من اليسير الاجابة على هذا السؤال .. فالفرضيات هنا امر غاية في التعقيد ..

وهو يتغنى بمحبوبته .. ولكنه غناء حزين تحس فيه مرارة الحرمان ومرارة اليأس .. ومع ذلك فانت حين تجلس اليه لا تكاد تستبين شيئاً من هذا الحرمان .. انه يبدو حينئذ شيئاً آخر تماماً .. هل يعني ذلك انه يعيش حياة مزدوجة ؟ حياته مع خيالاته ومع الكلمات التي تنبش في رأسه عن فكرة .. اية فكرة .. وحياته في واقعه وهو يواجه المجتمع والناس والحياة ؟؟..

ربما ليس من الصواب الحكم على الشاعر من خلال شعره الذي ينشره على الناس .. فكما ان لكل منا اهتماماته الخاصة التي يحجبها عن أعين الاخرين .. فان للشاعر كذلك دنياه الخاصة الاخرى التي لا يسمح للاخرين بولوجها .. خصوصاً اولئك الذين لا تربطه بهم صلة من قرابة أو صداقة .. ومن هنا من معرفتي بان غازى يقول شعرا آخر غير ما نشره في « أشعار من جزائر اللؤلؤ » و « قطرات من ظمأ » فانني لن اكون صادقاً مع الحقيقة لو اتهمت غازي — من خلال ما ظهر علينا من شعره فقط — بانه يعيش قضية الضياع بكل ابعادها ..

هل يصح اذن ان نزعم بانه يعني عندما يتغنى بمحبوبته محبوبة أخرى غير ما تعارف عليها الناس ..؟ هل يعني وطنه ..؟ لعل ذلك يبدو — لي شخصياً على الاقل — بأنه اقرب الى الصواب .. فأنا اعرف ان عنده الكثير من الشعر الذي لم ينشر بعد .. او نشر باسماء مستعارة .. وفي هذا الشعر يعالج غازي قضية .. ويرفع شعارا معينا .. بل اعرف كذلك انه من الشباب الواعي الذي تهمه قضايا وطنه وامته بقدر ما تهمه قضايا قلبه واحاسيسه الذاتية المحض .. وربما كان عذره في عدم ابراز نفسه كشاعر — اذا جاز

التعبير – هو الجو السياسي المشحون المتوتر الذي يسود المنطقة العربية .. خاصة المنطقة التي ينتمي اليها الشاعر .. ومع ذلك ففي « قطرات من ظمأ » لمحات سياسية مضيئة .. وقصيدته « لوس انجلس » تدل على الشاعر وعلى حسه السياسي رغم انها صيغت في قالب وجداني :

سأكتب عنك يا عملاقتي
المغرورة .. البلهاء
سأكتب عن ضبابك .. عن
شرور دروبك السوداء
وعن قلبك لم ينبض
وجف كصخرة صماء
وعن صنم تقدسه
عيونك .. اسمه الاثراء
سأكتب عن اماسيك
الكئيبة حين تخلو الدار
ويبخل ليلك المحموم
بالاصحاب .. والزوار ..
وحتى الجار .. يصمت عن
« مساء الخير » .. حتى الجار ..
ويلتصق الضباب على
الوجوه .. كلعنة الاقدار ..

هكذا يصف لنا لوس انجلوس .. ويقينا انه لم يكن يقصد لوس انجلوس بالذات .. انها هنا رمز للحياة المبتذلة المتهتكة والقلوب الصم التي لم تنبض يوماً بالحب ، والمال الذي يعبده الشعب الاميركي ويتخذ منه صنماً يقدسه من دون الله .. فامريكا كلها لوس انجلوس .. واذا عرفنا ان الشاعر قضى ردحا من عمره في امريكا لتكملة تعلمه الحقوق ، ادركنا سر انفعاله ومشاعره الغاضبة تجاه قوم لم يعودوا يؤمنون الا بالكذب ملفوفاً في ثوب من البسمات .. و (حتى الجار يصمت عن « مساء الخير » حتى الجار) ..

هل يكفي ذلك لنعرف اين يقف غازي من نفسه ومن الناس ؟ لنستمع اليه في مقاطع من قصيدة اخرى « اعترافات » يعلل لنا فيها سر صمته .. وسر دورانه حول نفسه :

سألتني فيم صمتي ... عن امي حين أشدو
ألم يحرك غنائي ... من موطن المجد مجد ؟
غريرة القلب اني ... في ذلك الركب أعدو
في تربة العرب مهد ... يضم عمري ولحد
لكن دربي طويل ... اروح فيه واغدو
اذا تبسم فجر ... لاحت غمائم ربد
في الافق الف سراب ... يدعو فيركض حشد
وللردى الف عين ... فيها تحجر حقد
فاين ابن طريقي ... والافق جمر ورعد
وفي عيوني رمل ... وفي جفوني سهد
واليد من غير حد ... وللمسافر حد

هل هي حالة اليأس يمر بها الشاعر فلا يستطيع ان يقفز فوقها ؟ انه هنا يحدد موقفه من الدنيا التي تتحرك حواليه وهو ينطلق في موقفه هذا من منطلقين :

الموقف الأول :

في تربة العرب مهد ... يضم عمري ولحد

الموقف الثاني :

فأين ابن طريقي ... والافق جمر ورعد

انهما كما نرى موقفين متناقضين .. ومع ذلك فان غازي يجمع بينهما ببراعة الشاعر الذي يمتلك ناصية الكلمة ويخضعها لظروفه. ولكن هذا ليس هو كل سره الكبير .. هناك سر آخر لعله اكبر اسراره الذي يفسر به وجهاً آخر من مواقفه تجاه الآخرين ففي قصيدته « خذني اليك » نجده يصل الى مرحلة اليأس الكامل .. وهو يأس له مبرراته وله فلسفته :

الهي سألتك خذني اليك
فان حياتي ضاقت علي
ولو طال يا رب فيها بقائي
سأصبح يا رب كالآخرين
سأصبح وحشاً يحب الدماء
ويغمد خنجره في الظهور
ليحظى بأمنية سافلة ..

هنا يكاد غازي يفتح نفسه ويبلور كل فلسفته في كلمات حادة قاطعة لا تقبل تأويلا متناقضا .. انه يقف من (الآخرين) موقف المتفرج الحزين على مذبحة كبيرة .. وهو يرفض ان يكون واحداً منهم ..وهو في رفضه هذا لا يتخذ جانب الايجابية. ولكنه يغرق في السلبية لدرجة غير محتملة :

الهي سألتك خذني اليك
فان حياتي ضاقت علي

انه موقف انهزامي مغرق في الانهزامية وانهزاميته هذه يفسرها مقطع آخر من القصيدة نفسها « خذني اليك » :

تعبت من الجري خلف السراب
من البحث عن واحة في الجبال
وماذا اريد ..؟
مصابي اني اجهل ماذا اريد

ومن هنا لم استغرب ما قاله في جريدة « صوت الخليج » لمندوبها في البحرين قبل اسابيع .. لقد قال بالنص الواحد :
« الشاعر ليس لهاية رسالة في الحياة وهو يقول شعرا متى شاء ويعبر عما يجيش في نفسه »



وغازي قد يكون صادقاً مع نفسه فيما ذهب اليه .. ولكنه غير صادق مع الحقيقة .. فان الشاعر جزء من مجموع ، وهو مرتبط بهذا المجموع ارتباطاً نفسياً وعضوياً وتاريخياً وانه لمن الشذوذ حقاً ان يكون هذا الجزء شيئاً منفصلا عما يدور حوله بحيث لا تثيره اهتمامات الآخرين ولا تطلعاتهم ولا احلامهم .. من اين ينحت الشاعر شعره اذن ؟ ان ذاته هي ذات المجموع وما عدا ذلك

فاصطناع يرفضه المنطق ويرفضه الانسان داخل الانسان .. انه موقف لا مبرر له اللهم الا اذا كان غازى يريد ان يعطي مبررا لسلبيته . هذا عن الشاعر .. فماذا عن الشعر نفسه ؟

استطيع ان اجزم وانا على درجة كبيرة من الاطمئنان الى ان غازى طاقة شعرية لم تتفجر بعد ..

وحين يخرج غازى من نطاق ذاته وحين يدع – مشاعر الآخرين – تحرك قلمه وتهز وجدانه بقدر ما تهزه مشاعره الخاصة .. فان شطآن الخليج ستغني معه وستكون صدى يهز السكون ويثير الزوابع على امتداد صفحة المياه الكئيبة الزرقاء .

واذا كان لي من كلمة اقولها لغازى وانا احاول – قدر جهدي المتواضع – ان اقيم شعره .. فهو ان اطلب منه ان يعتني بوحدة القصيدة .. انه يحتاج – في رأيي – الى تصوير **اللحظة** المشحونة .. ذلك انه كما لاحظت من خلال « اشعار من جزائر اللؤلؤ » و « قطرات من ظمأ » يتناول اكثر من موضوع في القصيدة الواحدة . واضرب مثلا على ذلك « أغنية قبل الرحيل » فقد بدأها بالحديث عن حبه وعبر عن قلقه على هذا الحب .. ثم يصل الى مرحلة الكفر بحبه :

آه كم كنت غريراً عندما خلت ان الحب ميلاد جديد

وبعدها ينتقل الى الفلسفة :

اني أجهل حتى مقصدى اتمنى انني لم أولد

الى ان يقول :

يعجز العلم وتعيا الفلسفة في جواب نشتهي ان نعرفه
ما الذي تبغيه ما بال الفتى ضائعاً ما عاد يدري هدفه
هذه الاشواق ما اسرارها حين تجتاح النفوس المرهفة

الى آخر هذه القصيدة .. ومع ذلك فانني يجب ان اعترف لغازى بان عنده مقدرة فائقة على ربط اكثر من موضوع واحد في القصيدة الواحدة ..

يبقى بعد ذلك ان اشير الى قدرة غازى على ابتكار المعاني التي لم يسبقه اليها شاعر .. ومن تعابيره الجميلة « والشمس تمطر جبهتي جمرا » و « أين امضي يا سؤالا لم يزل ظامئاً يقرع سمع الابد » و « أنا لست مثل الحالمين احلام حبك من يقين » وكلمات حية نابضة أخرى لا يتسع المجال لذكرها ..

وغازى يكتب الشعر بالطريقتين – العمودية والجديدة .. وانا لا أعرف لماذا يصر غازى على النظم بالطريقة العمودية فان شعره حين يتخلص من الوزن والقافية الواحدة يكون اوقع واجمل .. ومن قصائده الرائعة التي كتبها بهذه الطريقة على سبيل المثال : في شرقنا – لا تقولي – لوس الجلوس – خذني اليك – بلا موعد – يكفينا ..

وبعد ..

أنا لم اقل كل شيء عن غازي القصيبي .. كما انني لم اعط صورة وافية للقارىء عن شعره بقدر ما حددت اتجاهاته .. وانه لمن المحتم ان يرجع القارىء الى شعر غازي نفسه ليدرك خصب هذا الشاعر فان المجال هنا لا يسمح باعطاء امثلة كثيرة ..

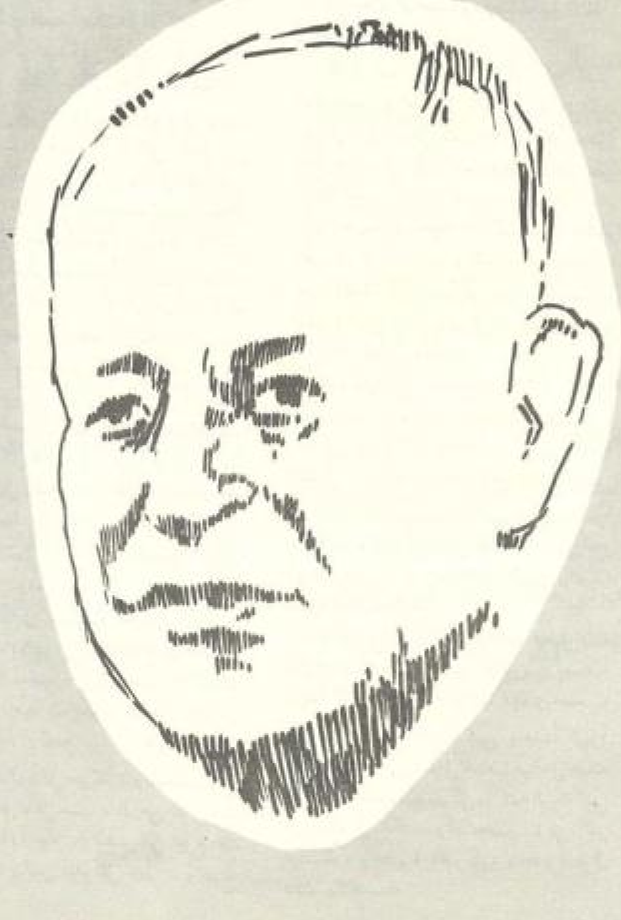
كلمة أخرى أريد ان اقولها قبل ان اطوى صفحة هذا النقد .. فقد قال غازى ضمن حديثه مع « صوت الخليج » ان بعض الناقدين الذين تصدوا لنقد ديوانيه . ناقد اراد ان يكون ديوانه اداة لقضايا .. وقال معلقاً بان الشاعر يعبر عما يجيش في نفسه وانه لذلك يجب ان يتناول ديوانه ناقد صريح بعيد عن العاطفة والصداقة وان تكون الدراسة موضوعية ..

ورجائي ان اكون قد حققت . رغبته بهذا النقد .. كما ارجو ان لا يضيق بما جاء فيه من آراء قد لا تتفق وما يراه هو .. وانا احب ان اعترف له وللقراء بانني لم استطع ان اتخلص من رباط الصداقة الذي يشدني اليه فترة من الزمن هي الفترة التي تسبق العطاء .

خليل السكاكيني

أديب وهب حياته لتربية أجيال أمته

بقلم : عيسى الناعوري



ما بين عام ١٨٧٨ وعام ١٩٥٣ ، مرحلة من العمر مداها خمسة وسبعون عاماً ، قطعها خليل السكاكيني ، ابن قسطندي السكاكيني ومريم حرامي ، بين فلسطين واميركا ، ومصر ، وقد بدأها بولادته في القدس ، وختمها بوفاته في القاهرة ، وبين الولادة والموت كان جهاد الدرس أول المرحلة ، ثم جهاد العمل والادب والتدريس حتى نهايتها .

كانت دراسته في القدس ، في المدرسة الانكليزية ، وفيها تتلمذ على استاذ ذلك الجيل ، المعلم نخله زريق ، الذي بث فيه وفي جيله حب اللغة العربية ، والروح الوطنية وقد ظل خليل يذكره بالحب والاجلال طوال حياته . ونشأ خليل مطبوعا على حب لغته العربية ، متمكنا منها ومن آدابها ، كما نشأ محبا للتدريس ، حريصاً على ان يبث روحه الوطنية والانسانية في اجيال امته العربية : في فلسطين التي قضى فيها الشطر الاكبر من عمره ، وفي القاهرة التي قضى فيها شطراً آخر غير قليل من حياته ، فكانت وطنه الثاني ، وكانت في النهاية مقر راحته الاخيرة.

كانت حياة السكاكيني قدوة للآخرين في كل شيء : في الوطنية الصادقة ، وفي الانسانية الرحيمة ، وفي التربية القويمة ، وفي الحفاظ على الاصدقاء ، وفي الفضائل الخلقية

الرفيعة . وكان يترك من روحه هذه آثارها العميقة في نفوس اصدقائه وعارفيه ، وفي نفوس تلامذته وزملائـــه . وكان المرح والبشاشة من المزايا الحلوة الانيسة التي اشتهر بها طوال حياته : كان يضحك بملء حنجرته فيعدي الاخرين بضحكته . وكان حريصاً على ان يملأ حياته وحياة الآخرين بالضحك والمرح والبشاشة .

وفي أواخر عام ١٩٠٧ ، وكان عمر خليل حينذاك نحو تسعة وعشرين عاماً ، هاجر خليل السكاكيني الى اميركا سعيا وراء الرزق ، ولكنه لم يلبث هناك اكثر من ثمانية اشهر ، عمل فيها في المصانع ، وفي اعطاء دروس خصوصية في اللغة العربية لابنـــاء المهاجرين العرب ، ولكنه لم يوفق في عمل ناجح ، فعاد منها الى القدس في شهر أيلول عـــام ١٩٠٨ .

وفي شهر كانون الاول عام ١٩١٧ سيق الى سجن دمشق ، لانه آوى في منزله رجلا جاء يستجير به ، دون ان يعرف انه يهودي اميركي — وكانت الحكومة التركية تعتبر كل من جاء اميركياً ، عمدا أو بلا عمد ، جاسوساً ، كما يذكر خليل السكاكيني في احدى يومياته التي يصف فيها سوقه الى السجن — وقد قطع هو ورفاقه المساجين الطريق مشياً على الأقدام ، مدة اربعة أيام من القدس الى عمان ، ومنها ركبوا القطار الى دمشق ، وبقي في سجنه نحو شهر من الزمن ، ثم اخرج منه بالكفالة ، فأقام في دمشق سبعة أشهر ، وكانت الثورة العربية بقيادة الحسين بن علي وانجاله ، قد عظم امرها ، ففر خليل مع رفاق له ، في شهر آب عام ١٩١٨ ، وقطعوا الصحراء متخفين حتى وصلوا الى مقر الامير فيصل لينضموا الى الثورة .

وفي عهد الانتداب البريطاني عمل خليل مفتشاً في ادارة المعارف ، وفي الوقت نفسه كان يدعو ، مع عدد غير قليل من رفاقـــه البارزين ، للجامعة العربية ، وحرية الشعب الفلسطيني ، والقضاء على الحركة الصهيونية .

وهنا المجال لنتحدث عن خليل السكاكيني

المــربي

في احدى يومياته ، وتاريخها ١٩-١-١٩١٩ يقول ان مدير المعارف ، الماجور تدمن ، قد استدعاه وتحدث معه عن نوع المدارس التي تحتاج اليها البلاد ، فكان جواب خليل :

« ان المدارس التي نحتاج اليها مثل المدارس في اوروبا ، بساتين اطفـــال ، فمدارس ابتدائية ، فمدارس ثانوية ، بشرط ان تكون مدارس حقيقية ، لا بالاسم فقط .. وان يكون التدريس فيها مجردا عن كل تأثير ديني ، او جنسي ، او سياسي . يجب ان تكون المدارس امينة للعلم .. اننا نحتاج الى مدارس تبث في التلاميذ روح الحرية ، والاباء ، والاستقلال ، والشجاعة ، والصدق الى غير ذلك من المبادىء التي تنهض بالامم من وهدة خمولهـــا ، فتنفض عنها ثوب العبودية الذي لبسته أجيالا طوالا » .

وكان السكـــاكيني يؤمن كل الايمان بمذهبين ، ويبشر بهما في حياته ، وهما :— السرور ، والقوة . وفي هذا يقول في يوميته بتاريخ ١٣-٤-١٩١٨ : « انني أشفق على اولئك الذين لا يعرفون السرور في حياتهم ، لا يستقبلون الايام الا بوجوه مقطبة ، واخلاق ضيقة .. فيزعجون انفسهم ويزعجون الناس ولا بد ان يكون ذلك ناشئاً اما عن مرض في النفس او في الجسم » . ثم يعرض الاسلوب الذي يسير عليه في حياته الخاصة فيقول :

« أقوم من النوم فأحس انني تلذذت في نومي والعب فأحس انني تلذذت بالعابي ، واستحم فاحس ان السعادة كلها في الاستحمام بالماء البارد ، وآكل فاتلذذ في أكلي ولو كان خبزاً يابسا .. اقابل الصعوبات فألتذ في مقاومتها والتغلب عليها ، وتلم بي المصائب فاتعزى بالصبر والتحمل ، بل اكاد ألتذ بما اكتشفه من الدروس والعبر » .

ويقـــول في يوميـــة اخرى بتـــاريخ ١٨-١٢-١٩١٧ : « العالم يحتاج الى اصلاح كبير ، والا فمصيره الى الضعف والانحطاط والزوال ، يجب ان يكون الانسان قوياً في جسده وعقله ونفسه .. ان الاجسام التي يتولاها الكلال لأقل حركة ، وتضعف لأقل مؤثر ، وتختل لأقل سبب ، ان هي الا اجسام موتى لا أجسام أحياء .. والنفس التي تجزع عند اقل مصيبة ، وتجبن أمام اقل خطر ، وتضيع تحت أقل ضيق ، وتقنع بالدون ، وترضى بالكفاف ، لهي نفس مريضة مهزولة مفلوجة . القوة ، القوة ، هذا هو التعليم الجديد الذي يجب ان نبشر به » .

وهو يكرر هذه المعاني في خطبه ، ومحاضراته ، ومقالاته ، ورسائله العديدة المنشورة في مؤلفاته ولا سيما جزأي كتابه « ما تيسر » ، وكتابه « سَرِيّ » الـــذي يتضمن رسائله الى ابنه سَرِيّ حين كان يدرس في اميركا ، وكذلك في الكثير جدا من يومياته المنشورة في كتابه « كذا أنا يا دنيـــا » .

وهذه المعاني كذلك كان يبثها في طلابه حين كان مفتشاً في معارف فلسطين ، ومديرا لدار المعلمين في القدس ، ومعلما في المدرسة الدستورية ، ثم معلماً ومديرا لكلية الأمة ، وكلية النهضة في القدس .

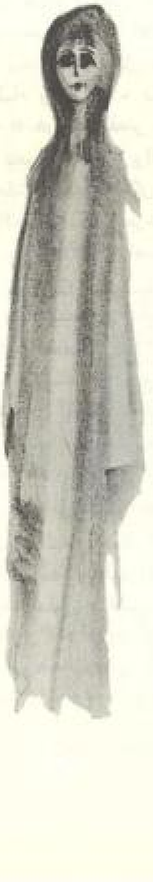
كانت التربية لدى السكاكيني تعيش تحت سقف واحد مع الادب . ومع الحياة فهي في كل نَفَس يتنفسه ، وفي كل خطوة يخطوها ، وفي كل كلمة يخطها ، ولم يكن السكاكيني يدعو الى السرور والقوة دون ان يسير عليهما في حياته ، كان قوي الجسم حتى طواه الاجل ، وكان مرح الروح ، جم البشاشة ، راضياً عن حياته في حالتي الفقر والغنى ، حتى تواترت عليه النوائب القاسية : ففقد رفيقة عمره « سلطانة » ، ثم فقد بيته ووطنه ، وخرج شريداً الى مصر ثم فقد ابنه « سَرِيّ » ، وفقد بعد ذلك بصره مدة من الزمن ، واخيرا استراح من جهاده الطويل ، ورقد رقدته الاخيرة على ارض مصر بعد ان ادى رسالة الادب والتربية عمراً طويلا ، وترك في الناس آثارا لا تنسى من أدبه ، ومن آرائه ومبادئه في التعليم والتربية ومن انسانيته السامية .

أما آثاره الادبية واللغوية فقد قامت لجنة تكريم ذكراه بجمعها في مجلدين ، يضاف اليهما كتاب « كذا أنا يا دنيا » الذي جمعت فيه كريمته « هالة السكاكيني » عدداً كبيراً من يومياته ، التي تسجل مختلف مراحل حياته ففي هذه الكتب الثلاثة كل ما كتبه السكاكيني في حياته في الكتب والصحف . وهي آثار قيمة ، وجديرة بالدرس ، وجديرة فوق ذلك بالاقتنـــاء .

سلوى القلب

شعر: عبدالمحسن أحمد الرفاعي

تعــالي ،فالهوى اضنى فؤادي ... وذقت الويل من طول البعــاد
وحــل بي الاسى وأذاب قلبي ... وقرح أجفني طول السهــــاد
كتمت الحب حتى عيـل صبري ... وهمت معذبــا في كــل واد
يقول العاذلون كفــاك وجــدا ... أما للوجد عندك من نفــاد ؟
وهل للقلب بعــد الحب مأوى ؟ ... وهل للعين بعدك من رقــاد ؟
سلبت القلب راحته ، ولمــــا ... اردت الوصل ، لم ينجز مرادي
اهــذا الحب في شرع العذارى ... جحيم ليس يطفــأ بابتراد ؟
أم الايــــام ليس لهــا أمــان ... أم الاحباب قد جحدوا ودادي
احبك « يا سعاد » وان روحي ... لترقص كلمــا ذكرت سعــادي
تعــالي ، فالفؤاد بــه حنين ... يؤرقني ويذهب بالرشــــاد
هبيني القبلــة الكبرى ، فاني ... لأسمع همس ثغرك لي ينــادي
فلا سلوى لهـــذا القلب الا ... عنــاق الحب في يوم الوداد !



الشريف العقيلي

بقلم : عبدالعزيز العندليب

من شعراء المائتين الرابعة والخامسة للهجرة في مصر ، اديب مبدع وشاعر عظيم هو ابو الحسن علي بن الحسين العقيلي نسبة الى عقيل بن ابي طالب ، رضي الله عنه .

عاش في العصر الفاطمي الذي شهد نهضة عارمة شملت جميع نواحي الحياة الفكرية والعلمية والادبية ، فكان عصر ازدهار الادب والفكر حيث برز فيه جمع غفير وعدد غير قليل من كبار الشعراء والفلاسفة والعلماء والكتاب ، ذكر بعضهم العماد الاصفهاني في كتابه « خريدة القصر وجريدة اهل العصر » والثعالبي في « يتيمة الدهر » والصلاح الصفدي في « الوافي بالوفيات » وابن شاكر الكتبي في « الفوات » وآخرون .

والعقيلي الذي نترجم له يعتبر اذا قارناه بشعراء زمنه ومن تلاهم « أصدقهم قريحة وأقربهم من الطبيعة واكثرهم افتنانا بالوصف والتصوير » (١) «ويعد من أبرز شعراء الطبيعة في ادب العرب — وهم قلة — على اختلاف العصور » (٢) تشهد له بذلك «نصاعة شعره واناقة صوغه» (٣) مع خصب خياله واتساع افاقه ، وبراعته في اظهار الناحية الجمالية لكل مظهر من مظاهر الطبيعة مما يدل على ذوق رفيع جدا وعمق احساس بالجمال الذي يراه في كل شيء من الحياة . تقرأ له فترى في شعره الى جانب جزالته وقوة بيانه ، دقة التعبير والاعتناء التام بانتقاء الكلمات واختيار الالفاظ على انها واضحة المعنى جلية القصد ، تطابق ما اريد بها ، ظاهرة المدلول ، ليس فيها ما تمجه الطباع السليمة او تستهجنه الاذواق من تنافر او بعد عن المراد . كل ذلك في رصانة ومتانة ودون تكلف او تصنع في محسناته اللفظية والمعنوية ، وهو ابدع ما يكون واجمل ما يقول في الوصف ولا سيما بيان ما في الحياة من آيات الحسن الاخاذ ، واظهار مفاتن الطبيعة الخلابة ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

اجل . ان شعر العقيلي ترجمة حية لمظاهر الطبيعة الساحرة بكل قوة وقدرة في التعبير والاعراب تنم عن شاعريته الاصيلة وموهبته الفنية العظيمة . فانطباعاته الذاتية عن الحياة في صورها الجمالية العديدة ليست نتاجا سطحيا بل انطلاقة فذة . او لنقل مرحلة يصل اليها شعر الوصف خلال سيره عبر عصور الادب العربي بل العالمي .. فما اسخيلوس اليوناني (٥٢٥ — ٤٥٦ ق.م.) في قوة خياله وعمق عاطفته ومتانة اسلوبه وروعة فنه باجود قولا ولا احسن بيانا من شاعرنا العظيم هذا الذي نؤرخ له ونكتب عنه . والذي يبلغ الذروة القصوى في فن الوصف وهو اللون الغالب على شعره وان كان له في غيره . من الاغراض طول باع فهو لدى الفخر والمدح والنسيب والهجاء والرثاء والحكم فارس المضمار وحامل اللواء وصاحب القدح المعلى .. له في المدح غرر القصائد وفي الغزل درر فرائد وفي الفخر روائع ومن المواعظ بدائع . ويأتيك في هجائه باقذع السباب في المعاني وفي رثائه بالعجب العجاب في المضامين والمباني . فمن قوله يفتخر :

إنّي لِمِنْ اهل بَيْت
تُسْم العَرانين غُرّ
مَنْ يَلْقَهم وهو ظام
الى نوال وبِرّ

(١) و(٢) و(٣) الدكتور المحاسني في مقدمة ديوان المترجم له .

فانمَــا هــو منهــمْ
مَــا بيــن غيــثٍ وبَحْــر

ومن حكمه :

ما صَاحبُ المرء من ان زلّ عاقبه
بل صاحبُ المرء من يعفو اذا قدرا
فانْ اردتَ وصالاً ، لا يكــدّره
هجرٌ ، فكن صافيًا للخِلّ إن كدرا



ومن شعره في الهجاء ما يعرض فيه بشخص يدعــى المحسّن بن ملح (او ابن ابي الملح) فيقول :

ايَـا محسّــنُ قــلْ لــي
بمَــا تتيــه ونُفْخَرْ
هــذا وجــدّكَ مِلْــحٌ
فكيــفَ لــو كــان سكــرْ

ولــه في الزهــد :

اذا شَيّــد الانسانُ ابنيةَ التقــى
وغادرَها بالحِرْص وهيَ شَوامخُ
فــذاكَ الذي يأوي الى حسناتهِ
فتعصِمه منها جبــالٌ رَواســخُ
ومن صَحِبَ التقــوى فليسَ بنادم
اذا صَرخــتْ يومًا عليهِ الصَّوارخُ

الشريف العقيلي



ومن قوله يمدح :

وخِلٍّ له تاجٌ من الذكر لم تَزَلْ
مرصّعةً اركانُه بالمحامدِ
اديبٌ اذا انهلّتْ معانيه أورقتْ
غصونُ القوافي في رياضِ القصائدِ
يُغنّون بالانصاف كُتْبُ اخائه
ويختمُ بالانجاز طينَ المواعدِ

ولـه في الخمريات :

وجاءتْ بها راحاً كأنّ اناءها
اذا ما تبدّي درةٌ حشوُها وردُ
لها حَبَبٌ لما أُريقتْ كأنّه
من الدّرِ طوقٌ للزجاجةِ او عقدُ
وان مُزِجَتْ لاحتْ كوجنةِ عاشقٍ
وفاحتْ لنا مسكاً يخالطه نَدُّ

ولنقرا لِه في الغزل هذه الابيات الرتيقة الحلوة : —

لقد اعطيتْ في خلقها غايةَ المنى
فليسَ لها في الناس شبهٌ ولا نِدُّ
ونكهتها عند التنفس عنبرٌ
وريقتُها في كلّ اوقاتها شهدُ
وللمسك والكافور والدّرّ والمها
لواحظها والثغر والصدغ والخدُّ

(هنا تتجلى لنا قدرته وتسلطه الكامل على الالفاظ والمعاني فهو يأتي لنا باربعة تشبيهات رائعة في بيت واحد : لواحظها كعيون المها ، الثغر كالدر ، الصدغ كالمسك ، والخد كالكافور) .

ترى وَصْلَ من يدنو اليها محرماً
فطوبى لمن اضحى له عندها رفدُ
بدتْ فتبدّتْ بالسلام تعرّضا
ولم يكُ عندي في الذي قصدتْ عِنْدُ
وراحتْ بروحي واستقلتْ بمهجتي
وليسَ لما لا بُدَّ من كونه بُدُّ
فلما راتني نازحَ الصبر اعرضتْ
ولكنها بالطبع ليسَ لها ردُّ
فسقميَ في جنب الهوى وسبيله
وما خانني صبري وما صَنَعَ الصدُّ
فان جئتُ اشكو ما اقاسيه اعْرَضَتْ
ولم تسْمع الشكوى ولم ينجح القصْدُ

فكيف احتيالي — معشرَ الناس — ارشدوا
اخا حُرَقٍ ، فالصبُّ ، ليسَ له رشدُ
هو الحبّ ، لا تسْلكُ مدى الدهرِ طرقَهُ
فما كـلُّ قلـبٍ شابَه حجَـرٌ صَلْـدُ

وقولـه :

تاهـتْ بوجـهٍ ازْهَـرِ
وزهـتْ بطـرفٍ احْـوَرِ
رودٌ كـأنَّ بنـانَهـا
قَصَبُ العقيـقِ الاحمرِ

ويلخص رايـه في السعادة :

وأنفسُ عيشِ المرءِ ما لمْ يكن له
اذا هَـمَّ باللـذاتِ من دونها ضدُّ

اما الوصف فهو مليك امره والعليم بمنابت القصيص في ارضه ، يصف الطبيعة الاسرة ببساتينها المونقة الناضرة واشجارها الظليلة ورياضهـا الغن وتغريد اطيارها وشقشقة عصافيرها ، وهوائها النقي والنيل الخالد والغانيات الملاح والخرد الغيد ومباهج الحياة ومفاتن ما في الوجـود ، والـوان الاطعمـة والاشربة ومجالس الانس واللهو . وغضارة الشباب والجمال الضافي والبهاء الباهر والحلاوة والطلاوة ، ووسائل العيش الهنيء ، وما يذهب عن النفس الحزن في لطف تعبير وحسن تقرير وبراعة في استجلاء مواطن الابداع بصور زاهية واضحة ، حقيقية ملموسة . ها هو في سحر بيانه المعجز يسمعك من قياثير قصائـده ارق النغم بالذ اللحون ، تشبيهات طريفة للخدود والاصداغ والثغور والنهود والعيون والجفون والقـدود باللآليء واليواقيت والتيجان والعبير والنجوم والقمر والظبـاء والمها والحدائق والغصون والذهب والفضة والسبـج والابنوس والعاج والريم والمسك والعنبـر والفـل والياسمين والغزلان والحلي والحلـل والشقائـق والرياحين والانغام والالحان والشحارير والبلابل ووو ... الخ من الكلمات التي تدل على ترف الشاعر وبذخه الى درجة تجعله يكثر من ذكر الكماليات ونوادر الجواهر واسباب الفخفخة ومظاهر البهجة .. يقول :

الزهـرُ وسْنـانٌ ويقظـانُ
والقضب نشْوانٌ وسَكْرانُ
والآس في الخضرةِ فيـروزجٌ
والـوَرْد في الحمرةِ مرجانُ

* * *

ادلَّ بالـدلِّ منـه
حـاءٌ وسينٌ ونونٌ (حسن)
آغَـنُّ في الخـدِّ منـهُ
خـاءٌ ودالٌ وشـينٌ (خدش)
ان زارنـي كـانَ عنـدي
عَـيْنٌ وراءٌ وسـينٌ (عـرس)

* * *

كـانما سـرجُ قناديلهـا
مـن بهـجٍ منهـا ومن ازهـرِ
لينوفـرٌ مـن ذهـبٍ اصفـر
فـي بـركٍ مـن ذهـبٍ احمرِ
يعثرُ منهـا الطرْفُ في مشيـهِ
بجوْهـرٍ رُكّبَ فـي جوْهـرِ
كانهـا اذْ لمعـتْ في الدجـى
تُريكَ كافـورًا على عنبـرِ

* * *

وخذْ فـي الشرب بين عقيقِ وردٍ
ودرِّ نـدى وفضـةِ ياسمين

* * *

غنـاءُ شَحاريرٍ وزَمْـرُ بـلابلٍ
وتصفيـقُ امواجٍ ورقصُ غصونِ
ووصلٌ معاطاةٍ وقطـعُ تمنـعٍ
وطـيٌّ مراعـاةٍ ونشـرُ مجونِ
فلمْ لا يرانا الرّوْض في سوقهِ التي
بها كلُّ انواعٍ وكـلُّ فُنـونِ
فقمْ نتّجرْ فيها فليسـتْ مفيـدةً
اذا لمْ تكنْ معمـورةً بزبـونِ

وهذا معنى طريف لم يطرقه احد قبلـه .. كذلك قوله يهجو احد المغنين :

ومُسمعٍ مستَبْشـعِ المنظـرِ
اثقلَ مـن دَيْـنٍ علـى مُعْسِـرِ

وقوله يمدح صديقـا له :

وخِـلٌّ يمُـدُّ رواق الغِنـى
علـى مَـنْ يحـلُّ بأكنافـه
رعيـةُ امـوالـهِ تشتكـي
تَغَطْـرُسَ سُلطـانِ اتلافِـه

لاحظ الاستعارة البديعة ، ولنقرا لـه في مغن :

الا رُبَّ مُلـهٍ لـهُ قامـةٌ
تقيمُ قيامةَ هيـف الغصـونْ
يتيهُ بـردفٍ كثـيرِ الحـراكِ
ويزهـى بخصرٍ كثيرِ السُّكونْ
مليحُ البَنانِ فصيحُ اللسـانِ
غَريبُ الاغاني عجيبُ اللحونْ

الشَّريف العقيلي



وقوله غزلا :

يا أيها الرشا الرَّبيبُ الذي
دَلَّتْ عليه آيةُ الدَّلِّ
قد كدَّرَ العَيْشَ نمودُ القِلى
فابْعثْ عليه صالحَ الوَصلِ

وقوله :

الطلُّ فوقَ البهار منتثرٌ
كأنه فضةٌ على ذهبِ

وله في يوم مطير :

الرعدُ منتحبٌ والبرقُ ملتهبٌ
والقطر منسكبٌ والماءُ مضطربُ
والروضُ مبتسمٌ والزَّهرُ منتظمٌ
والشمسُ تَسفِرُ احيانا وتنتقبُ
والغيمُ في الافق ممدودٌ سرادقهُ
والطيرُ يَصفِرُ والاوتارُ تصطخبُ
والوردُ يضحكُ والمنثورُ منتثرٌ
كأنهُ جوهرٌ في الارضِ يُنتَهبُ
والياسمينُ كمثلِ الدرِّ تنثره
على جواهرِ ازهارِ الربى القُضُبُ
كأنما النرجسُ البرزيُّ حين بدا
على الغصونِ لُجَيْنٌ حشوُهُ ذهبُ

وقوله ايضا :

اليومُ يومٌ عسجديُّ البرقِ فضيُّ السَّحابِ

ومن غزله الرقيق :

غزالٌ تبدّى فابدى لنا
هلالاً منيرًا وغصناً رطيبا
وطرفًا كحيلاً ووجهًا جميلا
وخدًّا اسيلاً وحُسنًا غريبًا

★ ★ ★

صدَّ بعد الوصال تيهًا وعجبًا
فأذابَ الفؤادَ همًّا وكربا
رشأٌ جسمه ارقُّ من الماءِ
واقسىٰ من الحوادثِ قلبًا

وله في الخد والصدغ خاصة تشبيهات غاية في الجمال آية في الروعة منها :

لهُ في خدِّه صدغٌ مدارٌ
كليلِ الشكِ في صبحٍ منيرِ

★ ★ ★

كأنما الصدغُ على خدِّه
غاليةٌ من فوقِ كافورِ

★ ★ ★

رضابٌ كالرحيقِ الخُسرواني
ومُبتسمٌ كنَوْرِ الأقحوانِ
لذي غُنجٍ له صدغٌ وخدٌ
كليلِ البعدِ في صُبحِ التداني

★ ★ ★

راحَ بروحي قضيبُ ريحانِ
ليسَ له في جمالهِ ثانِ
كأنما وجهُهُ وطرَّتُهُ
صُبحُ وصالٍ وليلُ هجرانِ

★ ★ ★

سبى عقلي هلالُ بني هلالِ
بألحاظٍ كألحاظِ الغزالِ
غريرٌ فوقَ عارضه عذارٌ
كليلِ الهجْرِ في صُبحِ الوصالِ
اذا أبدى مؤامرةَ التجني
اقمتُ لها وجوهَ الاحتمالِ

★ ★ ★

مرَّ بنا في قباءِ ديباجِ
ذو طرةٍ جنحُ ليلها داجِ
يُغنيه ما صاغهُ الشبابُ لهُ
من حَلْيِ لألائه عن التاجِ
قد نَقشَ الصدغُ خدَّهُ فغدا
كأنه الابنوسُ في العاجِ

★ ★ ★

اذا بدا خدُّه من تحتِ سالفِهِ
حسبتَهُ فضةً من فوقِها سَبَجُ

عصر انعتاق الفكر ونتائجه

بقلم : رياض بولس يعقوب

كان عصر انعتاق الفكر او عصر الفكر الحر ، ثورة فكرية اعطت العقل الحديث روحه ومزاجه . ان الانسان الحديث الذي يرفض اعتبار روحانيات العصور الوسطى بانها الكلمة الاخيرة ، اخذ يبحث في اسرار الكون والعالم ونفسه ايضاً ليفسرها على ضوء تحليل منطقي وسببي . وبعكس النهضة الانسانية ودوافع عصر الاصلاح فان عصر انعتاق الفكر كان عصر حركة فكرية عاقلة بدلت ايمان العصور الوسطى بالاساطير ، بالايمان بالعلم . فلأول مرة منذ عصر الاغريق أخذ المفكرون يهاجمون كل انواع المشاكل بآراء حرة غير قديمة ، تدل على السلطة وحرية الفكر ، ويمكن اعتبار سنة ١٦٥٠ الى سنة ١٨٠٠ كحدود عصر حرية الفكر .

ان العقلية الجديدة التي انتشرت لأول مرة في القرن السابع عشر ، اعتبرت من قبل الكثيرين في القرن الثامن عشر على انها المفتاح النهائي لمشاكل الانسانية . فخلال هذين القرنين ، وجد هؤلاء المفكرون الاحرار في الرياضيات ما اعتقدوا بانه طريقة ثابتة معصومة من الخطأ ، فقبلوا تفسيرا ميكانيكياً للطبيعة . وقد أدى دخول كوبرنيكوس وديكارت الى الميدان ، اضافة القانون الطبيعي الى الدين والمجتمع والحكومة . وثبت هؤلاء المفكرين في ايمانهم روح جديدة باحثة مردها التقدم الملحوظ في ميادين العلم والتقنيه ، واتساع نطاق التجارة .

وهناك عدة مميزات لعصر نهضة الفكر هي

١ — تحويل العلم الى اشياء دنيوية : فحيث كان الفلاسفة ورجال الدين في القرون الوسطى يفسرون الانسان والكون على ضوء الكتب الدينية ، اخذ اصحاب المذهب الفكري (المفكرون الاحرار) يهتمون بالنظر الى المعرفة من زاوية دنيوية . واصروا على ان باب المعرفة ليس الوحي او الالهام وانما الرياضيات والسببية والمنطق . ولكنهم لم يعنوا انه يجب رفض كل انواع الدين ، ولكنهم اعترضوا بصورة خصوصية على الاشياء الخارقة للطبيعة بحجة انها عقبة في طريق عدم التعصب ، وفي طريق الحرية والاكتشاف العلمي .

٢ — الايمان بالرشد : لقد كان عصر انعتاق الفكر عصر ايمان في السلوك المعقول للطبيعة وفي القوانين العلمية الثابتة . ان العقل — كما يقول المفكرون الاحرار — هو الحكم الكلي الذي له القدرة على كل الاشياء . انه دليل قوي وراشد ، اعلى من كل سلطة تقليدية . وقالوا ان الانسان قد خلق لكي يستخدم عقله في حل اسرار الطبيعة واسرار نفسه .

٣ — المذهب النفعي : لقد كانت روح العصر الفكري نفعية عملية . واصحابها مقتنعون بان على الانسان ان يحصل على السعادة والرفاه لنفسه بتحسين حياته ومنشآته على الارض . فكل ما كان مفيدا كان جيدا . وان الانسان يستحق بركة الحياة والحرية والثروة .

٤ — التفاؤلية ، والثقة في النفس : لقد كان هؤلاء المفكرون واثقين جدا من انفسهم ومتفائلين في الوقت نفسه . فهم مقتنعون تماماً بقابلياتهم على اكتشاف قوانين الطبيعة وتحسين العالم والحياة تبعا لهذه القوانين.

لقد كان العلم في مراحله الاولى ، وكان هناك الكثير لكي يتعلموه . ولكن هؤلاء الناس كانوا غارقين في النشوة لاكتشافهم افقوماً جديداً للانسانية . ومع انهم لم يلاقوا نجاحاً كاملا في مهمتهم لفتح اسرار الطبيعة فانهم خطوا خطوات واسعة في فتح حقول جديدة من المعرفة . تلك كانت بعض مزايا عصر التعقل . وهذا العصر يعتمد بحد ذاته على معنى كلمة « تعقل » وهي تعني تعبيرا شاملا يعطي اتجاهات نظرية وعملية مختلفة تهدف الى تفسير الكون بواسطة الفكر . وتهدف ايضاً الى تعويد الانسان على الحياة الاجتماعية حسب مبادىء معقولة . والى القضاء على ، أو ابعاد ، كل شيء غير معقول وهذا يعني ان العقل هو مصدر معرفة بنفسه .

ان نمو الفكر الحر له تاريخه . فالاغريق كانوا اول من هاجموا الاشياء الخارقة بفكر تأملي هادف . وفي العالم الروماني أصبح العقل ، ممزوجا بالارادة ، اداة للسيطرة على الفرد والحياة السياسية . وخلال العصور الوسطى فقد الدين ثقته بالافكار واستعادها في عصر النهضة ، عندما اخذت الاراء الدينية التقليدية تتحطم وتختفي . وفي القرن السابع عشر اعتبر الفكر سلطة قهرية قادمة من اعلى . وفي القرن الثامن عشر ، نظر للفكر على انه التعبير الاختياري لاشخاص احرار متنورين . وفي القرن التاسع عشر ادعى الرومانتيكيون ان هناك قوى اجتماعية لا يمكن فهمها باستعمال العقل . وفي القرن العشرين وضع المزيد من التأكيد على انه حتى العلم غير معرض دائماً لفكر انساني معقول .

ان ايمان المفكرين المتحررين بالحقائق الداخلية العميقة للفكر وجه تفكير الانسان منذ القرن الثامن عشر . ففي القرون الوسطى اعتبر العالم جزءاً صغيرا من مملكة الله ، وكان يعتقد ان ارادة الله لها يد في كل ما يحدث من ظواهر طبيعية . ونوايا الله كانت واضحة احياناً . وغامضة لا يمكن حلها احياناً أخرى . واعتبر البحث في اسباب هذه الظواهر الطبيعية عملا غير ضروري أو غير حكيم . وبقي الاهتمام بالطبيعة محدداً على على معناها بالنسبة لنوايا الله . ان الله الكلي العلم والكلي القدرة قد خلق الارض في ستة أيام . والانسان نفسه قد خلق بيد الله ، على احسن شكل . ولكن لعدم طاعته في جنة عدن ، فقد سقط من الشرف العلوى . وحكم عليه باللعنة الابدية . الحياة على الارض أصبحت منذ ذلك الوقت امتحاناً وقتياً للانسان . فبعد زمن ستدمر الارض بكارثة عظيمة ، وفي ذلك الوقت سيحدث تقسيم نهائي بين الانسان ، الخير والشرير ، الشرير سيذهب لنار جهنم والاناس الاخيار سينعمون بسعادة في دار الله الابدية .

هذه كانت دراما تاريخ الانسان . ففي الجو الفكري للعصور الوسطى كان على الانسان ان يجد دوره في هذه الدراما العظيمة وفوق هذا عليه ان لا يفكر في محاولة تعديلها . ان التغير التدريجي لهذا الاعتقاد الوسطي (اي في العصور الوسطى) ، حدث بسرعة بواسطة التجارة التي اخذت تتسع وتشمل حاجات ومجالات اوسع ، وايضاً بواسطة جو فكري جديد نتج عنهـا .

وفي اثناء الانتقال من العصور الوسطى الى الحديثة ، قامت نظم جديدة منها : الدولة الوطنية ذات السلطة ، الملكية المطلقة ، حكومة نيابية ، قطاعات دينية مختلفة ، رأسمالية تجارية وبرجوازية سياسية يقظة . ومع هذه النظم الجديدة ، جاء تحول ثقافي مميز ، عكس العصر الجديد بكل اشكاله الملونة . وكان العالم الجديد يطلب اشكالا جديدة للفكر فقد اتجه المفكر في القرون الوسطى الى الدين واللاهوت في تفسير مشاكل الكون والحياة ولكن اصحاب الافكار المتحررة فضلوا الاعتماد على البحث العلمي . فقد لجأ اساتذة القرون الوسطى الى افكار اللاهوت عندما ثبط عزيمتهم تراكم وتكاثر الاشياء والحوادث التي بدت انها تتحدى التفسير المنطقي ، وقد سعى المفكرون الجدد الى تأكيد الحقيقة بالمنطق ، وايضاً كان اساتذة القرون الوسطى مندفعين بواسطة افكار ، وتأملات واشكال . ولكن اصحاب المذهب العقلي (المفكرون الاحرار) اتجهوا الى اعتبار القانون والعمل ، كطريق فعال ذي قوة . ان عصر الفكر الحر يختلف في خصائصه عن كل الثورات الفكرية السابقة واللاحقة فغالباً ما كان فلاسفة الاغريق يهبطون في عالم الشك ، بينما اعتقد المفكرون الاحرار باعتبارهم جماعة انه لا توجد اية حدود لقابلياتهم بتأكيد الحقيقة .

فبينما كان اصحاب المذهب الانساني في عصر النهضة ، متأثرين كلية بحرية البحث الكلاسيكي واكثر اهتماماً بالانسان منه بالطبيعة ، كانوا يهاجمون الفلسفة اللاهوتية القديمة لاصرارها المستمر على التأكيد على اللاهوت ، ولكنهم اهتموا اهتماماً عابرا فقط بالقوانين الطبيعية التي استحوذت على اهتمام المفكرين الاحرار . وخلال عصر انعتاق الفكر ، القى المفكرون الاوروبيون بعيداً بافكارهم الضيقة لأجل المذهب الداعي لوطن عالمي واحد وانسانية جمعاء .

ما هو مفتاح اسرار الكون؟ ما هي الطرق الصائبة لحل مشاكل الانسانية الملحة ؟

وجد المفكرون المتحررون ، الباحثون في القوانين الطبيعية ، الحل السحري لهذه الاسئلة في الرياضيات . وبعد ذلك جاء جهدهم الكبير لأجل « ترويض الكون » وتلا ذلك اضافة افكار حرة جديدة على الدين والمجتمع والحكومة ، لاعتقادهم انه يمكن تفسير السلوك الانساني على قواعد من المبادىء الكونية . وحاول الرجل المتنور ان يبني حياته على قواعد من ارادته الخاصة.

وعلى الرغم من ان الانفصال عن الماضي كان جذريا كما يبدو ، فان هؤلاء المفكرين كانوا اقرب الى العصور الوسطى وأقل انعتاقا مما اعتقدوا . فلو فحصنا اسس اعتقادهم ، لوجدنا في كل زاوية ان هؤلاء « الفلاسفة » كانوا يخونون فضل الفكر الوسطي عليهم دون ان ينتبهوا لذلك . فهم ينكرون الفلسفة المسيحية ، في الوقت الذي يكونون فيه نصف متحررين من هذه « السخافات » كما يعتقدونها . فهم قد اقلعوا عن مخافة الله ، ولكنهم بقوا على احترامهم للالهة ، وهم ايضاً قد استخفوا الفكرة القائلة بان الكون قد خلق في ستة ايام ولكنهم لا يزالون يؤمنون بان الارض آلة جميلة الصنع ، صنعت بيد مخلوق اكبر كمكان معقول للانسانية . وهم ايضاً انكروا سلطة الكنيسة والكتاب المقدس ، ولكنهم اظهروا ايماناً ساذجاً بسلطة الطبيعة والفكر . وقد احتقروا الميتافيزيقا ، ولكنهم كانوا فخورين لتسميتهم بالفلاسفة . وقد جردوا السماء من حقيقتها ، على الرغم من احتفاظهم بالاعتقاد القائل بخلود الارواح . وقد ناقشوا الالحاد بروح تشجيعية ، ودافعوا عن التسامح بكل شجاعة ، ولكنهم لم يكونوا ليصبروا على القس . وهم انكروا حدوث اية معجزة . ولكنهم آمنوا بتكامل الجنس البشري .

وهنا يمكن تصحيح الاعتقاد السائد بان عصر هؤلاء المفكرين ، كان يمثل ارتفاع مد الحضارة ، فللمفكرين ، ككل الناس ضعفهم ، فقد كان ايمانهم بتكامل الانسان مبالغا به . نوع من التقيد لم يحدث في زمن الاغريق الوثنيين بحكمتهم الكبيرة ولا في زمن المسيحية لغاية الان . ومع ذلك فأرباب الفكر اتخذوا ، كطريق ، الفكرة القائلة بان الانسان يمكن ان يحصل على حالة التكامل على الارض ، اذا اتبعت وصاياهم بكثافة دينية . لقد بسطوا الاشياء لدرجة الابيض والاسود من الوجهة الروسوية (روسو) فما كان طبيعيا كان جيدا ، وما كان غير طبيعي كان شرا . فكل ما على الناس ان يفعلوه هو فهم القوانين الطبيعية ، وتنسيق اعمالهم حسب هذه القوانين . فهم اذا استعملوا عقولهم للسيطرة على انفسهم وبيئتهم فسوف يكونون في سعادة حقيقية . والحقيقة انهم قد فشلوا في رؤية ان هناك ما بين الابيض والاسود ظلالا من اللون الرمادي .

واضافة الى هذا ، فهناك ايمان عميق بتقدم الانسان ، فقد وضع كوندورسيه — وهو من اعمدة المفكرين المتحررين — نوعاً من الوصايا العشر في كتابه « تقدم الانسانية » حيث وصف تقدم الانسان من العبودية الى

حافة التكامل على الارض ، ولكن لا كوندورسيه ولا فلاسفة متحررون مثله مضوا في تفسير القوة الغامضة التي رفعت الانسان من مستوى الى آخر ، (بقي هذا الى القرن التاسع عشر حيث قام بعض اتباع داروين باعطاء تفسير محدود) .

ان الخطر في هذا التحليل المبسط للتطور الانساني ، يكمن بصورة تأكيد غير منتظم على الناحية المادية من التقدم الانساني . جاء التقدم ليعني البحث الحماسي لحمامات سباحة احسن ، ومصائد فئران اكثر اتقانا . لقد اعطتنا العلوم الحيوانية والفيزيائية اكتشاف الطاقة الذرية ، وتطور التقدم البيولوجي . وهذا يعني خطوات عملاقة في التقدم المادي. ولكن كيفية استعمال هذه الاختراعات قد حيرت وحذرت العالم المتحضر كله . وهنا نتساءل كم ستتحسن هذه الحالة لو تدخل الفكر للوقوف بوجه هذا العالم الجديد المتفجر ؟ .

ولكن على الرغم من نقاط الضعف هذه فعصر الفكر الحر ، كان واحداً من حركات قلائل في التاريخ أدى لخلق نظرة جديدة مهمة على الوجود ، وبسط الطريق لوسائل جديدة غير مجربة للتطور في المستقبل ، ومع ان هؤلاء المفكرين الجدد لم يستطيعوا ان يبعدوا انفسهم تماماً عن الوجهات البدائية القديمة للحياة ، فهم قد نجحوا في فتح سبل ديناميكية جديدة ، لقد كانوا المسؤولين عن تشكيل جو جديد للرأي حيث يمكن فيه تحدى الآراء الموضوعة شفهياً او بالكلمة المكتوبة . وقد كان اصرارهم على حرية الرأي هو الذي ابعد عن الاذهان الخوف من امكانية الاحتراق بهذه الافكار . وكان ايمانهم بالحقوق الطبيعية للفرد هو شيء قيم ومقدر في التاريخ الانساني . وقد علمنا هؤلاء ان الفكر كان يتغلب دائماً على الذين ارادوا الحد منه او الغاءه . لقد تكررت المحاولات لخنق الفكر الانساني ، ولكن ايضاً تكرر فشل هذه المحاولات .

لقد عبر « كانت » عن مهمة عصر الفكر وخصائصه التاريخية الحاسمة في جوابه على السؤال التالي : ما هي الاستنارة ؟ (سنة ١٧٨٤) . وكان جوابه : الاستنارة ، أو التنور هو تحرر الانسان من القصور الذي يخلقه في نفسه . والقصور هو عدم تمكن الانسان من استعمال قابليات فهمه دون الاعتماد على شخص آخر . ولا يسبب هذه الحالة من القصور التي يخلقها الانسان في ذاته نقص في الفهم ، ولكن لنقص في العزم والشجاعة ، فيستعمل فهمه بدون مساعدة من آخر ، هل تجرؤ على استعمال فهمك ؟ هو شعار التنور .

وكرد فعل لهذا التحدى من قبل « كانت » قام عدد كبير ، ليس من الفلاسفة والعلماء فقط ، بل من الارستقراطيين والاساتذة والكتاب واصحاب البنوك والمبشرين وبعض الأسر المالكة ، كل هؤلاء بدأوا يبحثون عن معرفة اكبر عن الكون الفيزيائي ، وقام ايمان مملوء بالامل في تقدم وتكامل الانسانية خلال استعمال العقل والافكار الجيدة ، وعن طريق معرفة عميقة بقوانين الطبيعة . وهذا بلا شك ، كان تغيرا غير عادي في قصة رحلة الانسان على هذه الارض .

وفي سياق التقاليد الفكرية والبناء الاجتماعي للغرب الحديث ، فعصر الفكر هذا يمثل حركة لمجتمع اكثر تفتحاً ، فهناك العمل من اجل تأمين السعادة الفردية ، وتأمين الحريات الشخصية ، توفير الانظمة وخلقها ، السماحة ، التعاون الوطني ، تحرير الفكر من القيود ، وتوفير مجتمع لافراد احرار مبني على القانون .

والتعقل كان الجانب الفكري من النموذج السياسي ــ الاقتصادي الذي تبناه البرجوازي الدنيوي ، والذي تخلى فيه نظرياً وعمليا عن الوهم العالمي والاحلام الملكية للعصور الوسطى وساند تغيرات حيوية في الامور السياسية والاجتماعية ، كالديموقراطية والتحررية .

ان المجتمع المفتوح في الغرب ، الذي نبع من عصر التعقل وانعتاق الفكر ، اعتمد اعتمادا كبيرا على استقلالية الفرد اثناء التعاون الطوعي ، واكد ايضاً على تقدير افكار وانسانية كل فرد في هذا المجتمع .

ويمكن مقارنة هذه الاعمال مع الدوافع التاريخية في المانيا وروسيا والشرق الاوسط الذي لم يغير عصر التعقل فيها الامور الاجتماعية السياسية .. فقد بقي في هذه المناطق نوع غامض من الشمولية السياسية والاتجاه فيها كان نحو جهل يجعل التسلط للدولة والايمان. فبينما كانت العقلية الغربية تكرم الفرد ، اكد الشرق على سلطة الحكومة وقوتها وبينما كان الغرب مندمجاً في تعاون اجتماعي عام ، كان الشرق ينمي روح الضعة والتكبر والاختلاف في المراكز والاجناس بين شعوبه ، ويدخل عليهم التقاليد والاوهام البالية القديمة . لقد طالب الغرب بحقوق الفرد ، بينما طالب الشرق بالحقوق الجماعية . كان الغرب متفائلا باحتمالية قوانين الطبيعة أما الشرق فكانت تنقصه الثقة الذاتية ، وهذا ما أدى بالشرق الذي رفض افكار التنور ان يكون مجتمعات محكومة ، مغلقة .

ان عصر التعقل ، لا يمثل مدرسة فكرية معينة ، ولا برنامجا مخططاً ، فقد كان عصرا نظريا وعمليا بطموحه ، فكان مهتماً بالتحليل الفلسفي كما كان مهتماً بتقنيات السياسة ، وان وحدة اهداف هذا العصر كان لها تأثير قوي على الاحداث التاريخية القادمة .

لقد كان عصر الانعتاق الفكري مسؤولا عن تحرير عقل الانسان من قرون طويلة من الوهم والاساطير ووضع قياساً لمجتمع عملي ، اجتماعي متعاون ، هو المجتمع الغربي المعاصر .

لقد كان جهد « التنور » هو وضع اساس لكل حقل . من العلوم الوضيعة الى الالهام ومن الموسيقى الى الاخلاق ومن اللاهوت حتى التجارة ، ومثل هذه الافكار يمكنها الاستغناء عن تنبوءات الميتافيزيقا والالهام غير الطبيعي . وقد عومل الدين كلحق للاخلاق واعتبر جزءا من الفيزيـاء . وفي السياسة استبدلت فكرة الحق الالهي والسيطرة غير الطبيعية بـ « بعقد اجتماعي » ، يمكن فيه تقدير الدولة كاداة للرغبة الانسانية . وفي الفلسفة الاخلاقية كان يراد وضع اسس اخلاقية على القوانين الطبيعية وعلى الحقائق الثابتة للنفسية الانسانية .

وبشكل عام ، فقد حاول القرن الثامن عشر جمع تقليدين ارضيين ، لم يتفقا من قبل ، وهما الانسانية والعلم . وقد تركز الاقتناع الكلاسيكي القائل بان لا شيء انسانيا يمكن ان يعادي فكراً مثقفا . وأعطي هذا الاقتناع برنامجاً ايجابيا من العمل العلمي ، فالتقى العلم بالانسانية من اجل حياة افضل في كون اعظم .

المحموم ..



رفع سوطه في الهواء ، وفرقع به بقوة عند رأس الحصان . لم يبق على غروب الشمس الا القليل ، وعليه أن يصل إلى المزرعة قبل أن يحل الظلام .. وانطلقت العربة تقفز من وراء الحصان في الطريق الصحراوية وازدادت حركة الهواء المعاكس من حوله وأحس به ينفذ من خلال فتحات ردائه بارداً ، قارس البرودة . تذكر عباءته الصوف فتناولها ولف بها جسمه . مسح الارض الممتدة أمامه بنظرة واهنة ، وتنفس بصعوبة ، لا يزال يعاني من الألم في صدره ، وتبسم بخيلاء وقال في نفسه : لو أن ذلك الطبيب رآني الآن ، وانا اقود عربتي في هذا الجو البارد ، كان يريدني أن الزم الفراش لبضعة أيام .. هه .. أيام ! ! والطماطم ! من يعتني بها . ؟ ثم ، ان الاطباء يهولون كل بسيط . قال انى مصاب بـ .. ، بماذا ؟ ! لست أذكر .. وانى ينبغى الا اتعرض للبرودة ، وأتناول كذا .. وكذا .. كلام أطباء ... وهبطت العربة ارضا منخفضة ، كانت آثار العجلات تتلوى في الطريق الرملية امامه كحيات رملية ضخمة ، وبرزت تلال عن يمينه تنتشر على الطرق بغير اتساق .. رفع رأسه ، كان قرص الشمس الوردى يعانق قمم اشجار الأثل عند الافق .. وفكر : آه .. الأثل ! هذا الشجر الاخضر المغبر ، كم هو رائع في صموده وصلابته ! لا يؤثر فيه الغبار والبرد ولا الصقيع ! .. آه .. لو أن شجيرات الطماطم تقاوم ببسالة أشجار الأثل .. !

ومرت بذهنه خواطر محزنة : الموسم الماضى ، والآمال الجسام التى عقدها عليه ، وزفر بألم ، كان كل شئ يبدو على ما يرام ، في الشتاء الماضى ، الشجيرات الخضر تغطى أرض الحقل ، واصوات المياه وهى تجرى في السواقي بحبورية وتدفق ، وتبعث النشوة والحماسة في القلب ، وتحت كل شجيرة ، كان ثمر الطماطم ، ككرات صغيرة ، تتعلق بأغصان الشجيرة ، النحيلة ، وتحتمى بأوراقها الصغيرة المرحة ، كما تلوذ صغار الدجاج تحت جناحى امها ، تنشد الدفء والامان ، كان كل شئ يبشر بالخير ، وان عطاء الموسم سيكون وفيرا ، مباركاً . هز رأسه وسرح يحدث نفسه : ام اولادى تحملت الكثير ، وكلما قصرت يدى عن تلبية طلبات البيت والاطفال تهمس بأمل ، وبإيمان لا حد له : ، كلها أيام وينضج الحاصل ويمتلء البيت بالخير .. وتكثر النقود . الله كريم .. ، كانت ديونى كثيرة ،

الموسم الجديد

بقلم: عبد الرزاق سعود المانع - البصرة

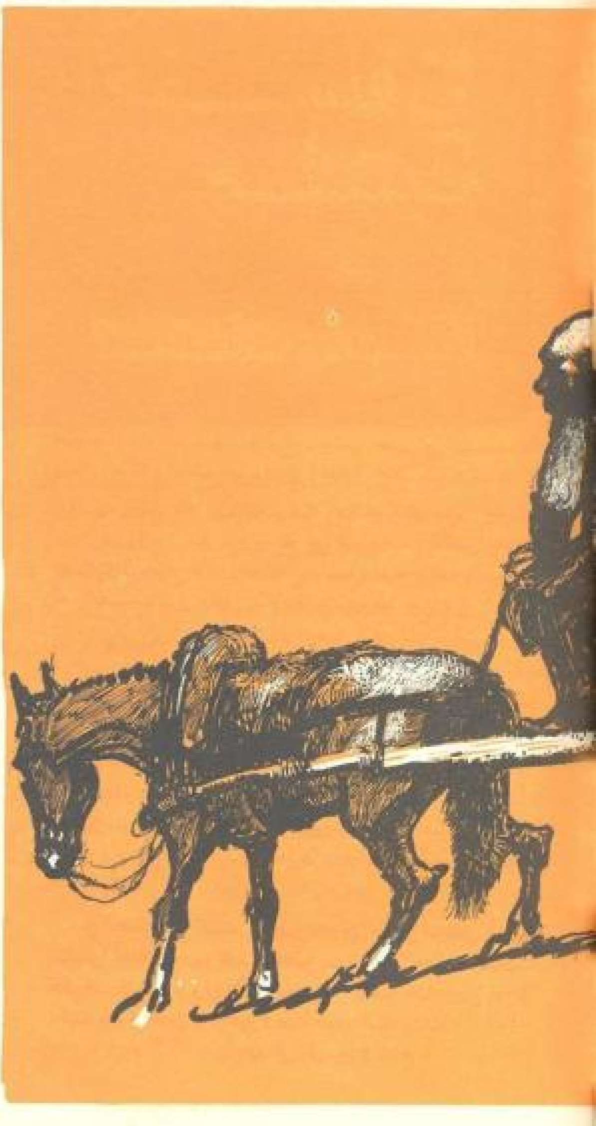
وطلبات البيت كثيرة هي الأخرى ، ولكن الحاصل كان يمكن ان يكفي ، لو سلمه الله . أول شيء كنت سأفعله تسديد ديوني فالدين حقاً - كما قيل - مذلة للرجال ، وان كان الدائنون - والحق ينبغي أن يقال - طيبين معي ولم يضايقوني طيلة عام كامل .. ، ثم ، طلبات الاطفال وامهم ، ايضا متشعبة وكثيرة ، ولكني كنت أؤجلهم دائماً : « اذا سهل الله وبعنا الطماطم .. » الاطفال يريدون اشياء كثيرة ، بعضها لا يمكن تحقيقه بسهولة ، فما دام كل شيء معلقاً بالمنتوج ، فلابد أن سيكون - حسب تقديرهم - بقدرة هذا الانتاج أن يلبي كل الطلبات .

كانت حبات الرمل والحصى تقذف بها أقدام الحصان فتنتثر فوق عباءته ، أو ترتمي تحت قدميه ، تناول منها قبضة ثم نثرها في الهواء ، كم يحس بالفخر والكبرياء لكل مزارعي هذه المدينة ، فهذه الصحراء التي لا تعطي غير الرمل والحجارة الصلبة ، ينتزعون من بطنها ، بكفاحهم ، طعاما ويفجرون من طبقاتها البعيدة الغور مياها تملأ الارض بالخضرة والحياة .

لم يبق من الشمس الا نصف قرص ، احمر كبير ، احال رؤوس الاثل من لونها الاخضر الترابي إلى أحمر شاحب . أحس ان اطرافه تؤلمه من البرد ، وسعل عدة مرات . واجتاح صدره حزن ثقيل ، وفكر : كانت ليلة تشبه هذه الليلة ، في الموسم الماضي ، تشبه هذه الليلة !! لا !! لا !! . وانتابه هلع غريب ، واستعاد بذهنه حوادث تلك الليلة بسرعة ، ليتأكد من أنها لا تشبه هذه الليلة بالذات . وسرح بذهنه ، لو انه فقط لم يغفل ويتقاعس ، اذاً ، لما خسر موسمه الماضي ، ولما انسحقت معه الآمال وانطفأ في عيون الاطفال بريق الترقب والانتظار ، انتظار الرخاء بعد أشهر قاسية طويلة . في تلك الليلة ، نام بعد أن تأكد أن كل شيء على ما يرام ، ياله من غبي ! ولكن ، كيف ينام !! ، لو أنه فقط بذل شيئاً من جهد لتغلب على البرد والصقيع ، ولم يسمح لهما ان يمتصا جهده وجهد الفلاحين معه خلال ساعتين أو ثلاث . لم يكن يدري ما جرى ، ولكن أحد الاجراء الذين يعملون معه في الحقل ، أيقظه بفزع عند الفجر :

- عمي فهد ، عمي ! استيقظ يا عم فهد !

ورفع الغطاء عن وجهه ، فأحس بالهواء ينصب على



وجهه كالماء البارد ، فأعاد الغطاء ثانية ، ولكن الاجير صاح بذعر :

– قم يا عم فهد ، الطماطم ! الطماطم !!

وهنا ، كمن علق حبلا بقوة خاطفة من وسطه . نهض وهو لا يدري ما يقول . واندفع يركض كالمخبول إلى زرعه وتوقف عند الشجيرات الذابلة كالمصفوع .. لقد فات الاوان وانتهى كل شيء . كان الهواء البارد يتحرك ببطء وصعوبة . وجلس . مد يديه يتلمس الشجيرات وشمل الحقل بنظرة أسى . الشجيرات الريانة بالأمس . تنكس اعناقهـا وتنطرح سوداء رمادية على الارض وحبات بيضاء صغيرة لا تزال عالقةباوراقها

وضمر وجهه الهواء البارد . خيل اليه انه وسط جثث لأطفال أعزاء ، خلفتها حرب ضروس غاشمة .

انتفض برعب ، انتابه فزع عظيم وغضب مفاجئ . فترك مقعده ووقف في وسط العربة ، رفع سوطه عالياً ، وألهب به ظهر حصانه . فاندفع هذا مذعورا ... هل تتكرر المأساة ! كلا . ! ستصل قبل الليل ، وستنظم كل شيء وتحمي ، الزرع ، أجل – وأخذ يغمغم مخاطبا نفسه – : لابد أن يكون هناك أشياء كثيرة تنتظر حضوري . هؤلاء الاجراء لا يعرفون كل شيء . يجب أن أصل . أولا ، قبل الليل . قبل الليل ، هذا هو المهم .. وفرقع بـالسوط ، وجن الحصـان ينهب الارض . وتجويفا انفه يعبان الهواء بشراهة ..

– أهـلا بالحاج ... أهـلا !!

– الحمد لله على السـلامة .

لم يرد على تحيات اجيريه ، فقد كان في شغل عن ذلك . فضلا عما يعانيه ، من اجهاد .

– كيف حال النبـات ؟

قال بصوت لاهث ، وهو ينزل من العربة . أحد الرجلين أجاب : (جيدة) .

– طيب فك الحصان من العربة ، سأطمئن بنفسي .

وانطلق يجوب الحقل . هدأ نوعا ما . كانت الشجيرات الخضر تمتد قرب السواقي الضيقة برشاقة ، وخيل اليه في هـذه اللحظـة . انها تعرفه . فابتسم بود . وجلس قرب الساقية . مسح بيده الاوراق فرفت بخفة كفراشة طروب . غمس يديه في مياه الساقية . فأحس بها تبعث الدفء في اصابعه المقرورة . عاد إلى الكوخ بعد أن ودع شجيراته بنظرة اغتباط .

أحس بالانهاك والانهيار يعمان كل أعضاء جسمه . ولم يتناول العشاء مع رفيقيه . أخذ يرتجف واشتد عليه السعال وألم أطرافه . وشعر بالأسى والغم ثقيلين في صدره وغمغم بيأس « هذه الليلة باردة . والله يستر ويسلم » . وقال لاحد رجاله :

– الجو يزداد برودة . انى اخشى على الزرع ؟

– ابدا . برودة الجو كالمعتاد . ولا خطر على زرعنا .

وقال الرجل الآخر :– لابد أنك محموم يا عم فهـد .. ووضع كفه على خد مخدومه وعلى كفه .. مؤكد ، أنت محموم ! ألم يمنعك الطبيب ..!!

أجاب بضيق : هـذا هـراء .. أنا لست مريضاً إلى هذا الحـد ..

قبل أن ينام الرجلان سألهما : « هل انهيتما كل شيء ؟ » . بقي هو بعد أن نام صاحباه . يعاني الالم والتوجس . نباح الكلاب يملأ الليل بين آونة وأخرى . ومرت ساعات الليل الأولى ثقيلة متباطئة . وفكر بضيق : كم يكره هذا الليل ! لابد أن يكون الجو شديد البرودة في الخارج . بعد قليل . ربما .. ربما يسقط الصقيع .. ترى . هل يسقط الصقيع هذه الليلة ! كل شيء يؤكد ذلك . فالجو بارد قارس البرودة ، والهواء ساكن و ... آه . هل يمكن أن تتكرر المأساة !! . لما لا يفعل شيئاً . الآن . لم أتيت إذاً إلى هنا ؟ ! لكن . ماذا عساني افعل ؟ ! وفتش الحاج عن فكرة ينقذ بها شجيراته . فلم يتفتق ذهنه عن شيء . وأدرك أن ذلك محال . فقبله حاول الكثيرون وفشلوا .. واذاً . فانه لن يستطيع أن يفعل شيئاً . ولا ان يرد البرد عن زرعه ! وشعر بمرارة تغلق حلقه . وبأس غريب وثقيل يجثم على صدره . هدأت الكلاب . لم يعد يسمع نباحها . لابد ان الجو بـارد فعلا . وانطلقت أصوات الديكة رنانة في سكون الليل المضجر . وعاد يفكر بانفعال : لقد انتصف الليل . وفي هذه الساعة . يبدأ البرد والصقيع في خنق الشجيرات الخضر . الآن يتقرر مصير كل هذه الجهود المبذولة في هذا الحقل . ومصير النظرات اليائسة المترقبة للمنتوج القريب . وتحرك في فراشه بقلق . الكلاب عادت للنباح . هذا لا يهم . عمليـات اعدام بالجملة تقوم هنـاك لشجيراته الحبيبة . ورمى الاغطية جانبا . وتسلل من كوخه . صفعه الهواء البارد في الخارج . وشعر بضيق في تنفسه بـدأ يسعل . ولكنه اندفع يهرول إلى الحقل . اشتد عليه السعـال . توقف . ركع عند أول شجيرة . أخذ يرتجف بعنف وأحس بدوار في رأسه . مد يديه ومسح على الوريقات . انتفض بهلع .. قطرات باردة من الندى تغطيها . وسمع صوته يرتعش منفعلا : آه .. لقد جئت في وقتي . لابد انها ستتجمد بعد قليل . فهذه البرودة لا تحتمل . وأخذ يحرك يديه فوق الشجيرات بسرعة ويضرب وريقاتها بخفة . وأنشأ يتحرك بين السواقي كالمخبول . والسعال يمزق صدره وحنجرته . أرغمه السعال على التوقف وارتمى بين شجيراته ويداه تتحركان في الهواء باضطراب ليمنع عنها .. سقوط الندى والبرد .. ألقى نظرةاسى على الحقل الواسع . وفكر بقنوط : لماذا لا يستطيع ان يفعل شيئاً لهذه النباتـات الصغيرة . وعز عليه أن يتركها تلاقي مصيرها الرهيب وحيدة .. ولكنه لم يستطع حراكا ، وارتعشت ذراعاه وسقطت فوق ركبتيه ثم ... هـدأ .

في الصباح ، كانت الشجيرات في الحقل تستقبل أشعة الشمس الدافئة ، بوريقاتها الخضر .. اللامعة بعد ان غسلتها قطرات الندى ، وفي رأس الحقل ، كانت جثة رجل فارق الحياة منذ ساعتين ، ترتمي قرب احدى الشجيرات .

عبد الرازق سعود المانع .

«ماوراء الخير والشر» في فلسفة نيتشه



بقلم : فضل سالم

في اعتقادي ان بين الأدب والفلسفة ، ما يجعل واحدهما يتداخل ضمن شفافية الروح في الآخر ، حتى يتلاشى كل فرق ، إلا انهما وجهان لحقيقة واحدة هي الانسان . وأكثر ما تكون الفلسفة في الشعر لولا انها تنبع من عقل وينبع هو من وجدان ، والوجدان بعضهم يسميه روحا وبعضهم يسميه نفسا ، أو الذات ، والعقل وحده لا يصنع فلسفة .

على القمة بين الفلاسفة الشعراء الاوروبيين يتربع نيتشه ، ومهما تعرضت فلسفته للنقد أو التجريح ، فهو سيظل المارد الذى حرك العقل وأثار اوروبا وطبعها بفلسفته .. وشاعريته .

من المؤسف ان من بين مؤلفات هذا الفيلسوف التي تزيد عن خمسة عشر كتابا ضخما ، لم يترجم إلى العربية سوى « هكذا تكلم زرادشت » ، وبقى القارئ العربي الذى يقعد به قصوره في اللغة الاجنبية ، محروما من متعة السير في متاهة الحياة برفقة الجبار الذى ارتقى بالفلسفة إلى مرتبة الشعر الملهم حين قال :

« انى قادر ان اغنى انشودتى ، ولسوف اغنيها على الرغم من وحدتى في بيت منعزل ، وعلى الرغم من ان احدا لن يصغى اليها سوى اذنى » .

انه لامر غريب حقا ان يحتفظ الفيلسوف من افكاره المبكرة ، يوم كان رفاقه يسمونه القديس الصغير ، بناحية واحدة فقط هي الجبرية والايمان بالقدر ، ويضم إلى ذلك بتوافق أكثر غرابة — ايمانا بالانسان المتفوق — السوبرمان الذى يبشر بمقدمه فيقول :

— « ان اعظم ما في الانسان هو انه جسر لا هدف . انى احب اولئك الذين لا يعرفون الحياة الا بالموت ، لأنهم هم وحدهم الذين يتسامون . انى احب اولئك الذين لا يبحثون وراء النجوم عن سبب ليموتوا ويضحوا بأنفسهم من اجله . انى احب اولئك الذين يضحون بأنفسهم للارض لكى تصبح الارض يوما مهبط الانسان الاعلى » .

— « يا ايها النجم الساطع . ماذا عسى تكون سعادتك لو لم ينعم بنورك من تضئ انت لأجلهم ؟ انظر إلى ايها النجم ، لقد ارهقتنى حكمتى ، حتى انى بت كالنحلة التى جمعت من العسل أكثر مما تحتمل ، انى في حاجة إلى أيد تمتد لقطفه » .

الشاعر الذى يعبد القوة ويبشر بها ، ويعتبرها الخير ، بينما الضعف هو الشر ، ويقول مثلا :

اليوم ألسنة المدافع وحدها
مقبولة الدعوات طاهرة الفم .
لا يختلف عن الفيلسوف نيتشه حين

يقول :

.... ان رجلا هذه صفاته (القوى الآخذ بنفسه إلى الكمال) يجب ان يكون فوق الخير والشر ، ويجب ان لا يهمه ما يقول الآخرون عنه من انه شاذ ، عليه ان يأخذ بأسباب البسالة والقوة واخلاق الانسان المتفوق ، لا بالخير ، ثم ، ما هو الخير ؟ لأن تكون شجاعا شهما فذلك هو الخير ، خير هو كل ما يزيدك شعورا بالقوة ، ارادة القوة ، القوة نفسها هي الخير. اما الشر فهو كل ما ينشأ عن الضعف ، هو الضعف ذاته .

بمثل هذه القوة يقول نيتشه ان الانسان الشريف ، هو القوى ، وهو الخير ، أقانيم ثلاثة لا انفكاك لواحدها عن الآخر ، لا يمكن ان يكون الضعف شرفاً ، الضعيف ليس شريفاً ، لانه يسرق سلامته لينجو بها ، ويبرر فعله بمقاييس الاخلاق اليهودية ، الشريف لا يهتم لسلامته ، فالسلامة يتركها للسوقة .

ويمضي نيتشه في رؤياه هذه حتى يقول : اذن فالحرب خير محض ، بالرغم من تفاهة اسبابها ، الثورة خير لأنها جهاد ومجابهة ، وبالمجابهة تبرز العظمة الكامنة في الرجال .

لا فرق ، الشاعر يغنى الحق والحرية والعدل ، ويغنى الجمال ، ونيتشه ايضاً يغنى الحق والحرية والعدل ويغنى الجمال . لكن في مضمون هذه التعابير ، وفي القيم المصطلح عليها يكمن الخلاف .

في كتابه « ما وراء الخير والشر » يقول نيتشه :

ارادة السعي وراء الحقيقة ، هذه الارادة هي التي لا تزال تغرينا وراء المزيد من المخاطر . الحقيقة الشهيرة التي لا يزال الفلاسفة حتى وقتنا هذا يتحدثون عنها بتبجيل ووقار ، فكّر ، اية اسئلة تطرح علينا ارادة الحقيقة هذه ، أية اسئلة غريبة ، ملحة ، شريرة ! ! انها قصة طويلة ، ومع ذلك فانها تبدو كأنها لم تكد تبدأ بعد . لا عجب بعد هذا ان اصبحنا — ولو مرة واحدة فقط — مرتابين ، وفقدنا الصبر وبدأنا ندور حول انفسنا بلجاجة ، دعونا نتعلم ان

القاضي والذب



كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار ، لم ير الناس حاكما قط ولا زميتا ولا ركينا ، ولا وقورا حليما ، ضبط من نفسه ، وملك من حركته ، مثل الذى ضبط وملك ، يصلى الغداة في منزله ، وهو قريب الدار من مسجده ، فيأتى مجلسه ، فيحتبي ، ولا يتكيء ، فلا يزال منتصبا لا يتحرك له عضو ، ولا يلتفت ، ولا يحل حبوته ، ولا يحول رجلا على رجل ، ولا يعتمد على احد شقيه ، حتى كأنه بناء مبنى ، أو صخرة منصوبة ، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة الظهر ، ثم يعود إلى مجلسه ،

فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة العصر ، ثم يرجع لمجلسه ، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ، ثم ربما عاد إلى محله ، بل كثيرا ما كان يكون ذلك اذا بقى عليه شيء من قراءة العهود والشروط والوثائق ، ثم يصلى العشاء (الاخيرة) وينصرف ، فالحق يقال : لم يقم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة إلى الوضوء ، ولا احتاج اليه ، ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب ، كذلك كان شأنه في طوال الايام وفي قصارها ، وفي صيفها وفي شتائها ، وكان مع ذلك لا يحرك يده ، ولا يشير برأسه ، وليس الا أن يتكلم ، (ثم يوجز ، ويبلغ بالكلام اليسير المعانى الكثيرة) ، فبينما هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه ، وفي السماطين بين يديه ، اذ سقط على انفه ذباب فأطال المكث ، ثم تحول إلى موق عينه ، فرام الصبر في سقوطه على الموق ، وعلى عضه ونفاذ خرطومه ، كما رام الصبر على سقوطه على انفه من غير أن يحرك ارنبته ، أو يغضن وجهه ، أو يذب باصبعه ، فلما طال ذلك عليه من الذباب ، وشغله ، وأوجعه ، واحرقه ، وقصد إلى مكان لا يحتمل التغافل ، أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل ، فلم ينهض ، فدعاه ذلك إلى أن يوالى بين الاطباق والفتح ، فتنحى ريثما سكن جفنه ، ثم عاد إلى موقه بأشد من مرته الأولى ، فغمس خرطومه في مكان كان

نسأل ابا الهول هذا (ارادة الحقيقة) بعض الأسئلة ، لمجرد التغيير ..

لقد سألنا : ما قيمة هذه الارادة ؟ لنفرض اننا نريد الحقيقة ، فلماذا لا نريد أل « .. غير الحقيقة » ؟ لماذا لا نريد عدم اليقين ؟ لماذا لا نريد حتى الجهل ؟ ان مشكلة قيمة الحقيقة تتحدانا ام لعلنا نحن الذين نتحدى المشكلة ؟ اينا اوديب وأينا ابو الهول ؟

وفي مكان آخر يقول : بعد ان تتبعت الفلسفة وقرأت ما بين سطور الفلاسفة زمنا طويلا ، أجد ان علي ان اخبر نفسي ما يلي : ان القسط الأكبر من التفكير الذهني الواعي يجب ان يعتبر نشاطا غريزيا .

كيف يمكن لشيء أن يكون اصلـه ، وان تكون جذوره في ضده ؟ الحقيقة مثلا من الخطأ ؟ ارادة الحقيقة من ارادة الخداع ؟ .. ان هذا النوع من الأصل غير ممكن ، الذي يحلم به اما احمق او أكثر سوءا . الأشياء ذات القيمة السامية يجب ان يكون أصلها في موطنها . لا يمكن لها ان تأتي من عالم سفلي غاو مخاتل ، لا يمكن يمكن لها ان تأتي من متاهة الخداع والطمع . اصولها واساساتها يجب ان تكون في رحم الكينونة ، في رحم الوجود ، في الابدية ، في الاله المكنون ، في ذات الشيء ، هنا فقط وليس في اي مكان آخر .

هذا التسامي والتكريس من نيتشه يرفض المكيافيلية المراوغة ، ويطرح ارضا باحتقار ان الغاية تبرر الوسيلة ، انه يقول بوضوح ان الحق لا يمكن ان ينبت من الباطل ، الخير يستحيل ان تجد جذوره في الشر ، الحق حق بذاته ، والخير كذلك ، لهذا يقول ان القوة خير .

لا يمكن ان ننظر الى القوة بمنظارين مختلفين ، بمنظار القوي على انها خير وبمنظار من يعاني من تلك القوة على انها شر ، الاخلاق اليهودية هي التي تعطي الاشياء قيمة نسبية .

يقول نيتشه : اننا نأخذ بنظرية داروين القائلة بتنازع البقاء وبقاء الاصلح ، لكننا نتخوف من النتيجة ، نجهر بالنظرية ولا نجرؤ على المصارحة بما وصلنا اليه وما تفرضه الحتمية لأن النتيجة تتنافى وتعاليم المسيحية والاخلاقية

ـابـ

قد اوهاه قبل ذلك ، فكان احتماله له اضعف ، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى ، فحرك اجفانه ، وزاد في شدة الحركة ، وفي فتح العين ، وفي تتابع الفتح والاطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ، ثم عاد إلى موضعه ، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره ، وبلغ مجهوده ، فلم يجد بداً من أن يذب عن عينيه بيده ، ففعل ، وعيون القوم اليه ترمقه ، وكأنهم لا يرونه ، فتنحى عنه بقدر ما رد يده ، وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ثم ألجأه إلى ان ذب عن وجهه بطرف كمه ، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك ، وعلم ان فعله كله بعين من حضره من امنائه وجلسائه ، فلما نظروا اليه قال : أشهد ان الذباب ألح من الخنفساء ، وأزهى من الغراب ، واستغفر الله ، فما أكثر من اعجبته نفسه ، فاراد الله عز وجل ان يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا ، وقد علمت انى عند الناس من أزمت الناس ، فقد غلبني وفضحني اضعف خلقه .

ثم سأل الذى يليه ، قال : « أبا فلان ما أدامك ؟ » قال : « الأدام الكثيرة ، والالوان الطيبة » . قال : « أفي ادامك سمن ؟ » قال : « نعم » قال : « فتجمع السمن والسمين على مائدة ؟ » قال : « نعم » ، قال : « ليس هذا عيش آل الخطاب » .

« كان ابن الخطاب رحمة الله عليه ورضوانه يضرب على هذا ، وكان اذا و القدور المختلفة الطعوم كدرها في قدر واحدة ، وقال ان العرب لو أكلت هذا لقتل بعضها بعضاً » .

ثم يقبل على الآخر ، فيقول : « أبا فلان ما أدامك ؟ » قال : « اللحم السمين والجداء الرضع » قال : « فتأكله بالحوّارى ؟ » قال : « نعم » ، قال : « ليس هذا عيش آل الخطاب . كان ابن الخطاب يضرب على هذا ، أو ما سمعته يقول : أتروني لا أعرف الطعام الطيب ؟ لباب البر بصغار المعزى . ألا تراه كيف يتقي من

ثم يقول للذى يليه : « أبا فلان ما أدامك ؟ » فيقول : « الشبارقات والاخبصة والفالوذجات » . قال : « طعام العجم ، وعيش كسرى ، ولباب البر ، بلعاب النحل بخالص السمن » . حتى أتى على آخرهم كل ذلك يقول : « بئس العيش هذا . ليس هذا عيش آل الخطاب ، كان ابن الخطاب يضرب على هذا » .

فلما انقضى كلامه أقبل عليه بعضهم فقال : « يا أبا سعيد ما أدامك ؟ » ، قال : « يوماً لبن ، ويوماً زيت ، ويوماً سمن ، ويوماً تمر ، ويوماً جبن ، ويوماً قفار ، ويوماً لحم ، عيش آل الخطاب » .



المسيحية .

اتباع داروين في انكلترا . ودعاة المذهب الاشتراكي في المانيا . جميعهم كان لهم من الجرأة ما ينكرون به الاخلاق المسيحية لكنهم لم يجروؤا على التصريح بالنتيجة المحتمة لنظرية داروين ، ولم يرفضوا الاخلاق السائدة ، اخلاق الدعة والرقة والايثار .

اذا كانت الحياة تنازع البقاء وبقاء الاصلح ، فالقوة اذاً هي الفضيلة السامية ، والضعف هو النقص والشر ، خير هو من يقاتل ليحيا ويظفر ، وشرير هو الذي يخور ويهوى سريعا .

كثيرون من السطحيين اخطأوا فهم نيتشه وتصوروا انه يدعو الى القوة المجردة والى العنف الاهوج ، ولكن ، لنستمع اليه يقول :

« ان اسمى جوانب الانسان هي **قوة الارادة وثبات العاطفة** . لأن الانسان دون عاطفة يكون رخواً لا يصلح لعمل . يجب ان نحكم على الاشياء حسب قيمتها للحياة ، والمقياس الحقيقي للفرد او للجماعة هو **النشاط والمقدرة والقوة** . »

نرى انه يضع الى جانب القوة — التي يمكن ان تفسر أنها القوة المجردة — النشاط والمقدرة ، ان كانت القوة مادية جسدية . فالمقدرة عقلية وروحية ، انها ما نسميه الكفاءة ، أو القيمة الحقيقية للانسان .

في فلسفة هذا الجبار قوة ألبّت عليه اوروبا ، لانه رفض كل المقاييس الخلقية القائمة ، فبدأ من الصفر ، من الطبيعة ذاتها ليصل الى القول ان القيم التي نسميها فضائل ليست في جوهرها الا مظاهر ضعف تعيق ظهور الانسان المتفوق . ان اعظم الشخصيات لا تظهر الا في اوقات الخطر ، وحين يلزم العنف والقسوة التي لا تعرف الرحمة .

في الرحمة غلظة واعتداء ، نيتشه يقول ان زيارتك لجارك المريض هي لارضاء استعلائك حين ترى بعينيك عجز صديقك .

من هنا نرى ان نيتشه قد صاغ عالما جديداً ووضع اخلاقاً جديدة : الاخلاق هي قبل كل شيء ارادة القوة . حتى الحب ان هو الا رغبة في التملك ، ولقد يخيل للمحبين أنهم في الحب براء من الانانية لانهم ينشدون السعادة والخير لمخلوق آخر . وكثيرا ما يكون هذا الخير معارضا لخيرهم . لكنهم لا يفعلون هذا الا ليملكوا هذا الكائن الآخر .. حتى حب الحقيقة هو عبارة عن الرغبة في امتلاكها ، « عندي ان العظمة ليست فقط في ان تصبر لاحكام الضرورة ، بل ان تحبها كذلك .. » .

لكن نيتشه لم يستطع ان يحب ما فرض عليه ان يتحمله من امراض واوجاع ، ولم يستطع ان يحب تنكر اصدقائه ، بل لم يتحمل ذلك ، وانعكس كل هذا على افكاره وفلسفته التي راح يمهد بها الطريق لاخلاق الانسان المتفوق فحمل معولا يهدم به كل ما تعارف الناس على احترامه من اخلاق .

— « عديني .. قال لاخته وقد اشتدت عليه وطأة المرض .. عديني اذا مت الا يقف حول قبري الا الاصدقاء ، ولا يسمح بذلك ابدا للفضوليين المتطلعين . ولا تدعي قسيساً أو أي انسان غيره ينطق الى جانب قبري بالاباطيل . في وقت لا استطيع ان ادافع فيه عن نفسي . اني اريد ان اهبط الى قبري وثنياً شريفاً » .

— « الضعيف يقول : ان الحياة لا تساوي شيئاً . وخير له ان يقول : انني لا اساوي شيئاً » . ان الحياة تفقد كل قيمتها اذا تسربت عوامل الفساد الى اخلاق البطولة .....

ولقد بات واضحاً ماذا يعني نيتشه بـ « أخلاق البطولة » .

احتل نيتشه مكانة سامية بين الناس العاديين اكثر مما بين الفلاسفة المهتمين ، وبين العاديين كان الشباب هم الذين حفظوا ذكراه . في العام ١٩٤٤ . اقيمت احتفالات بمناسبة انقضاء مائة سنة على مولده . فاجري في امريكا استفتاء تبين منه ان نيتشه لا يزال فاتن الشباب ، ومغريهم الساحر .

انه لا يزال في الحقيقة سلاحاً فعالا في كفاح الشباب من اجل الفوز بالفردية المميزة والانسلاخ عن القديم ، به يتمثلون ، وكتبه تقرأ باعجاب وخشوع ورهبة .

في كتابه « ما وراء الخير والشر » يتحدث — كعادته — عن « الاخلاقية » وقد قسمه الى فصول ، لكنه لم يقل فيه : يجب ان تفعل كذا ، ويجب ان لا تفعل كذا ، بدل ذلك راح يطرح الاسئلة ثم يشير الى ما يعنيه العيش في ظل النواحي الاخلاقية . مع شروق القرن العشرين يتطلع نيتشه الى الانسانية فيجدها تشارف نهاية تجربة طويلة في الاخلاق ، ويقول :

« **لقد حددنا واعدنا النظر في آرائنا عن الخير والشر حتى اصابهما الاهتراء . فانسابا من بين اصابعنا ثم عادا الى غير مواضعهما دون ان يلحظ ذلك أحد. لننظر الى الخير في حب الام ، فسنجد الشر في سيطرة الأم الذي هو الحب الخانق . لنعتصر الشر — في الانانية — وسنجد الخير في احترام الذات وضبط النفس** » .

— « **هل صحيح اننا نقول الحقيقة حين نكون « صادقين » ؟ الشيء الذي لا نريد الاعتراف به هو ان الاخلاق كانت مجرد تجربة ، لقد وصلنا الى نقطة لم يعد ممكنا عندها التمييز بين الخير والشر بالعين المجردة ، وحتى نميز بينهما يجب ان نضع على عيوننا نظارات ملونة من عادات او فلسفة اخلاقية معينة ، ومن الافضل ان تكون هذه النظارات جزءا منا . ولكن ماذا ان حدثت هزة في اعماق الانسان اطاحت بالنظارات الخلقية ؟ ماذا بعد ؟ يمكن جداً ان حدث هذا ان لا نكون قادرين على الحصول على نظارات أخرى .** »

عند هذه النقطة يتوقف الكثيرون عن قراءة نيتشه . أو . على الاقل ، يتوقفون عن قراءته بذكاء لانه يقودهم — حسب زعمهم — الى النهلستية — العدمية — يقود من يحب الوصول الى هناك ومن لا يحب . ولكن هذا غير صحيح . نيتشه يطرح من الاسئلة اكثر مما يعطي من اجوبة . حتى اسئلته تأتي كاقتراحات .. « لماذا لا نجرب هذا لنرى الى اين يقودنا ؟ » ..

حرية الارادة يقول عنها : ان ارادتي حرة في الاختيار الاخلاقي ، بين الخير والشر مثلا . فما هو الشيء الذي يقيدنا بالمطلقات ان لم يكن الارادة الحرة ؟

تجربة الشاعر لا تختلف في الاخر . من حيث كونها ترفع مقاييس اخلاقية جديدة عن تجربة نيتشه التي يدعو اليها حين يعتبر الخير والشر ليس كشيئين او قيمتين متقابلتين على تناقض . بل في جانب واحد اخلاقي ثم راح يفتش في الجانب الآخر منه على اخلاق جديدة . وقيم جديدة لانسان جديد هو .. الانسان .. والمثل الاعلى .

من أعلام الشعر النبطي

أمير شعراء النبط

محمد بن لعبون
قصة سفره من الزبير

بلغت مسامع الشيخ علي الزهير حاكم الزبير ان لمحمد بن لعبون قصيدة جديدة وكان الشيخ علي من المولعين بأشعار ابن لعبون ، والذى ابلغه عنها هو الشاعر ابن ربيعة فاستدعاه إلى مجلسه لسماعها منه ، ولما مثل ابن لعبون أمامه طلب منه القاءها فألقاها على كره منه ، لما يعرفه عن الشيخ علي من ذكاء ودهاء ، فاعتبرها الشيخ علي هجاء لآلزهير وأتباعهم ولكن من طرف خفي وفيما يلي بعض مقاطع منها :

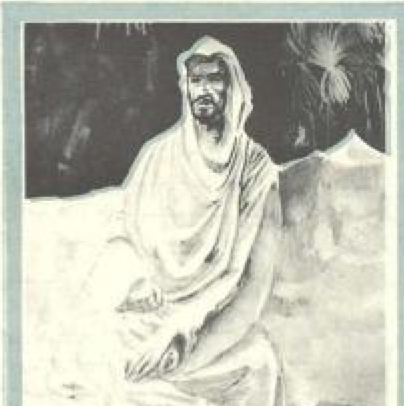
يا خفي اللطف لطفك ياكريم ... ترحم اللى اليوم عجز لا يقوم
كلما ناحت حمامات الصريم ... في مغاني مى ناوحت الهموم
وان كشفت اغطاى والى ان الحريم ... قاعدات من صباح الله تلوم
قلت باسمك يا الهى يا رحيم ... قال ربي قبلكم ، ويش العلوم
قالوا اهجر دار ذا العيش اللميم ... وارتحل عن ماه جعلك ما تقوم
يا محمد سبعة أيام مديم ... بالسفاهة وسبعة اعوام تحوم
ما ورا مير انت بالميشوم شيم ... عن ديار جعل ساكنهن بوم
وانس ذاك الولف والعهد القديم ... واعرف أن اوصال مى ما يدوم
وانت متب في ولد عمك غشيم ... قلت يا العذارى ولد عمي عزوم
لو ولد عمي على عوج الخصيم ... ما لقيتونى مسامر للنجوم
ان عطا فهو الكريم ابن الكريم ... وان سطا فهو الغشوم ابن الغشوم

ومنها والخطاب لعلي الزهير :

ملقح بأفكاره الحرب العقيم ... وضعها عقب الحمل غلمان توم
يورد الرايات في هول عظيم ... خافقات بالنصر مثل الغيوم

....

ثابت لا زال بالهيجا مقيم ... والسبايا طافحات بالقدوم
كم عذلني فيك أفاك أثيم ... سامرى ما يروم اللى تروم
يفتخر حاشاك بالعظم الرميم ... مفخر البزون بالسبع التصوم
يندب العليا ويعلق في تميم ... اقعدوا له باللذى فوقه رجوم
وانت مثل الليث بالليل البهيم ... عسكرك طير المنايا به يحوم
لو رميت ابها اللذى لك من خصيم ... ما جرى شط العرب غير الدموم
كل عين شوفها صاغ سليم ... من سنانك يا علي فيها عزوم



بقلم : عبدالله خالد الحاتم

ومنها هذين البيتين وهما بيت القصيد

ب ان الحق بالشرع القويم   والمعال بالتساكر والرشوم
؛ حق المدعى عط الرزيم   والمعال دونها قطع الخشوم

والذى يقرأ هذه القصيدة يظنها مديحاً للشيخ علي الزهير والحقيقة
ف ذلك فابن لعبون مدح الشيخ علي الزهير على طريقة ابى الطيب
ي مع كافور، ولما انتهى من القائه، التفت الشيخ علي إلى من حوله
ال انه يحرك رأسا نائما فامره بمغادرة الزبير وأعطاه مهلة ثلاثة
م على ما قيل . فخرج ابن لعبون من عنده غاضباً وقصد بيت ابن ربيعة
حبره الخبر ، وقال له ان الشيخ علي امهلني ثلاثة أيام . ولكني سأترك
ير اليوم وفي هذه الساعة ، وطلب من ابن ربيعة قربة ماء فارغة ،
ايره ابن ربيعة حتى آبار « الدريهمية » وهي آبار يستقى منها أهل
ير ، ولما انحدر ابن لعبون في احداها يستقى ، سمع صوت « طار »
ال ابن لعبون لابن ربيعة « ذا حس طار » فرد عليه ابن ربيعة اوفي
سيرك خفوقه ؟ ! . فنظمها ابن لعبون بهذا المطلع قصيدة طويلة
منها باقذع الهجاء وأمره على أهل الزبير قاطبة بما فيهم الشيخ
، الزهير وهذه بعض مقاطع منها .

س طار (١) اوضميرك خفوقه   يدق به من نازح الفكر دقاق
، هو حيك وطابت اوفوقه   والدارهي دارك وهذيك الأسواق
عيد خل اللى تشكل بسوقه   شيخ وهو عبد يذكر بالاعماق
قلب وان كانت اعلومك صدوقه   بينك وبين الدار عهد وميثاق
واك ينشد عن مغانى تروقه   حبك محب للمغانى ومشتاق
كر بها عيش مضى ما تذوقه   يا عونة الله يوم تقسيم الارزاق
ـد عبد هافيات اعموقه   ان جاع باق عمومته وان شبع ماق
لمر حر ينهضنه اسبوقه   واليوم يمشى بين الأسواق خفاق
لا رعاك الله قرّب اسبوقه   ثم ارفعه عن دار غاله وغرناق
باهجير اوصال حى تشوقه   دار عساها للرزايا بتيفاق
العنا لى بها والمعوقه   لو هي عن الدولة على سبعة اطباق
بها الوالد كثير اعقوقه   والى يعقونه امصلين الاشراق
ى بها هذا على ذا يسوقه   الله يعزك والخوندات يسحاق
مي الوفا منهم عميلة يبوقه   وتلقاه حلاف مهين وملاق
كانها « المستور » ضاعت احقوقه   رحقوق داني الجد جته بالاوفاق

ومنهـا :

بين شقاق وراقي شقوقه   وشمات مخلوق وعصيان خلاق
مال هطال صدوق حقوقه   يشبه كما ليل على الصبح ينساق
ي كما حرب النصارى بروقه   يطرب له البهلول منهم ويشتاق
، نداف الطها من اطبوقه   مثل النعام ان ثارها زول تفاق

ترفي مريضات النسايم الخفوقه   يجب عسى ما في نوبة بتيعاق
يسوقه الغربي والاخر يعوقه   مستأصل مبناه طاق على طاق
تفتر عن مثل الدحاريج موقه   اربع ليال مدلجات على ساق
وخامس تشوف الدار والثلج فوقه   مثل السرير مجلل عاد براق
ترى العذارى حسر في رقوقه   ياضى لميع اخدودهن مثل الاوراق
بين الطموح وبين مشاق شوقه   صرعى بها من غير خمر وترياق
تسمع ندا زجر الملك في صفوقه   قضى القضا والتفت الساق بالساق

ومنهـا وهو آخر بيت من القصيدة :

والى يرى ضد الوفا ما يذوقه   يدق به من نازح الفكر دقاق

وسافر الى الكويت بحراً من مرفأ الخوير . ولا نعرف تاريخ وروده إلى الكويت بالضبط الا ان ذلك واقع ما بين سنة ١٢٣٥ هـ وسنة ١٢٤٠ هـ في عهد الشيخ جابر العبد الله الصباح (جابر عيش) . جاء إلى الكويت فوجد شهرته قد سبقته اليها فلقى من أهل الكويت وأمرائها كل ترحيب واكرام . وصارت له علاقات طيبة مع عدد من الشخصيات الكبيرة ومن بينها الحاج يوسف اليعقوب آل بدر . والحاج يوسف هذا علم من اعلام المروءة والكرم في الكويت وهو من المعجبين بالشاعر ، وكان ابن لعبون يركن اليه في الملمات . وعلاقته به قديمة منذ أن كان في الزبير . ورغم الترحيب والاكرام اللذين لقيهما من أهل الكويت ومن اميرها . فانه لم يستطع تناسي الذكريات الجميلة التى مرت به في بلدة الزبير كما نرى ذلك واضحاً في شعره الذى نظمه في الكويت ،

كقوله من قصيدة :

يا منازل مي في ذيك الحزوم   قبلة الفيحا وشرق عن سنام
في سراب عن جوانبها يحوم   طافحات مثل حبر في بدام
يستبين بها الخبير بها الرسوم   دارسات كنهن دق الوشام
ما بكت فيها من الفرقا غيوم   من نظير العين الا من غرام
عوضت عنها الضعاين بالهدوم   وانتحاب البوم عن سجع الحمام

ومنهـا :

كل عيش غير عيشك ما يدوم   يوم وصلك بالكرايم والكرام
يا سنين اللى مضت مثل الحلوم   كنهن في دار ابن عوام (٢) عام
يوم مي تحسب الدنيا تدوم   وان عجات الصبا دوم الدوام
يوم هي توريك خد به وشوم   يفضح البراق في جنح الظلام
كنه القنديل بالزيت مخدوم   شبته دايانها عند المنام

ومنهـا من بديع الجناس الكامل قوله :-

غانيات غانجات لى تـروم　　　كنهن في كنهن بيض النعام

وقوله من قصيدة أخرى :

قضت ليالى وصلنـا به وفرقت　　　شمله وذالك الوصل يطرى على بالى

ومنهـا :

فيا مى صفو العيش ما طاب عقبكم　　　وقلب سلا ماعاض عنكم بالابدال

ولعبوتياته التي نظمها في الكويت مليئـة بهذه الذكريات .

وليس من المستغرب على ابن لعبون المفعم قلبه بالذكريات الجميلة ان يجيش قلبه بها ويعبر عنها بشعره ويجعل منه متنفسا له مهما بلغ من أكرام القوم له ، ولكن المستغرب هو أن ينسى هذه الذكريات . وماضى الانسان مهما كان ، هو القاعدة الاساسية التي تمده بالقوة والحيوية والمعرفة وما أكثر ما يشعر الانسان بالحاجة إلى الماضى فيفر اليه من حاضره الضيق للاستئناس به .

ومن أشهر قصائده التي نظمها عند قدومه إلى الكويت قصيدته التي يهجو بها شاعر الزبير عبد الله الربيعة ويمدح الشيخ جابر العبد الله الصبـاح وهى من اروع اشعاره قـال :

البارحة سهر وادير التفاكير　　　في ذم نذل بادى بالعيـاره
لا طالب دم يبى له مشاوير　　　حتى نعـذره لو طلبنا بثاره
ولاصان عرضه لو بوسط الدواوير　　　ولا. هو يطلبنا بقايا تجاره
بلا ذنب اركا في قفانا مشابير　　　واشوف جا ذم بعين الحقاره
وحنـا هل الوادى وحنا المناعير　　　وحنا ودينا جارنا من اجداره
يشهد لنا جريس اليماق بتطخير　　　يوم عن أهل الدين محد أجاره

....

خذ ما تراه وخل عنك الخماكير　　　من شق جيب الناس شقوا وزاره
ترا ذهاب النمل سعيه بتطيير　　　خذ راسها باللى تطهمت قاره

ومنهـا :

ياعبيد ابن عمك خواله ياسير　　　وعينك عمت من شوف عيلك وعاره
وان طعتنى عن السباع المظاهير　　　عندك اخو مريم تسلطط بداره
ابو صباح ريف ركب معابير　　　هو زين مضيوم جلا عن ادياره
جابر لكم سدرة والنم عصافير　　　اذا ضيم عصفور لجا في جواره

يستاهل البيضا بروس المقاصير　　　واولاده اللى كل منهم عمار

والمعروف عن ابن لعبون أنه ميال إلى الطرب وحياة اللهو والمجون وفي الكويت حصل له فراغ كبير في نفسه فتعذر عليه ان يجد المجال الكافي لملء هذا الفراغ . فعزم على ترك الكويت ، وسافر منها إلى البحرين حيث الفن والصبا والجمال والحياة القارهة الميالة ، وهناك وبعد أيام قليلة من استقراره فيها ، حدث له ما لم يكن في حسابه ، واضطر للهرب منها والعودة إلى الكويت ، ذلك ان امرأة لأحد امراء آل خليفة حضرت حفلة عرس كانت قد اقيمت ، وابن لعبون فيها ، وكان الوتر من العود وكانت فارعة الجمال ، فطغى عليها الطرب وبغى ، وبرزت ترقص بين وقع « الطار » وصوت ابن لعبون الجميل . وأسقطت القناع عن وجهها وبرزت كالبدر في ليلة تمامه ، فتحرج موقف ابن لعبون وصار يناديها من خلال الغناء بأن تعيد القناع إلى وجهها ، فلم تأبه له ، وفيما هي كذلك شاهد ابن لعبون احد اقاربها بين الحاضرين واسمه « على » فخاف من العاقبة وانتقل إلى فن آخر لعله يتفادى الأمر هذا مطلعه :

يا على صحت بالصوت الرفيع　　　يا مره لا تذبين الجنـاء
..... الخ

وفي رواية أخرى انها لما برزت للرقص وأسقطت القناع عن وجهها انتقل ابن لعبون إلى هذا الفن مع فارق بسيط يخاطب رفيقا له بلهجة الأمر ويدعى « على » ان يصيح بها بصوت عال كما يدل على ذلك مضمون البيت :

يا على صح بالصوت الرفيع　　　يا مره لا تذبين الجناء

والرواية الأولى هى الاصح لتواترها .

وعاد ابن لعبون إلى الكويت ولسان حاله يقول :

وألقت عصاهـا واستقر بها النوى　　　كما قر عيناً بالاياب المسافر

وبقى فيها إلى أن توفي بـالطاعون الذى اجتاح الكويت عـام ١٢٤٦ هـ .

« عبد الله الخالد الحاتم »

(١) الطار : الدف .

(٢) يقصد بها بلدة الزبير .

محنة يوسف إدريس



لأن ما يقوله يوسف ادريس لم يكن ابدا كلاما طائرا في الهواء ، فهو تاريخ طويل من التقدمية والفن ، لا يمكن تجاهله بأي شكل .. لذلك فعندما خرجت « الفرافير » من المسرح منذ عامين مضيا كان في القلب غصة .. فمع جمال الحوار وسلاسة وسلامة البناء ، وبامتداد الحركة على طول المسرحية ونبضها ، كان هناك كلام كثير عن مضمون المسرحية نفسها .. كان السؤال هو .. هل هذا هو يوسف ادريس الذي يعرفه الناس ؟ أم انه شخص يقلق في كل الاتجاهات بلا مبرر ، فلا يعمق في أي

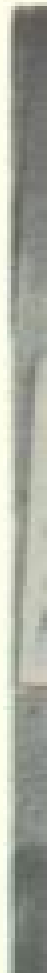




الأرضية

نقد: صلاح الملا

اتجاه ؟.. ورغم كل شيء فقد أتت لحظة استطاع يوسف ادريس خلالها ان ينظر بجلاء ويرفض عشرة آلاف ليرة لبنانية ، هي قيمة جائزة مشبوهة قدمتها له مجلة « حوار » . ولذلك فعندما بدأ عرض مسرحيته الجديدة « المهزلة الارضية » على مسرح الازبكية الشهير في القاهرة ، سارع الجميع لمشاهدتها ، خاصة وان الضجة التي اثارتها مسرحية عبد الرحمن الشرقاوي ما زالت قائمة في الأذهان ، فماذا قال يوسف ادريس في مهزلته الارضية ؟



قبل ان نبدأ بتحليل المسرحية حتى نستطيع ان نقول فيها رأيا ، لا بد لنا من ان ننظر في هذه الفترة من حياة يوسف ادريس فربما يساعدنا ذلك على فهم المسرحية بل وعلى اصدار حكم واضح فيما يفعله يوسف ادريس .. نحن نعلم مثلا انه كاتب مجموعتي « العسكري الأسود » و « قاع المدينة » ومسرحيات « جمهورية فرحات » و « ملك القطن » .. كان خطه الفكري فيها جميعا واضح المعالم يذهب هنا أو هناك ، لكنه اخيرا الكاتب التقدمي النزعة .. الاشتراكي التكوين .. بل لماذا نذهب بعيدا عن مسرحيته .. فالمسرحية هي في الأصل قصة قصيرة كان قد أصدرها سنة ١٩٦١ بعنوان « فوق حدود العقل » وهي من أجمل القصص التي كتبها ، واذا امكن تلخيصها فهي : قصة عسكري بوليس يحاول الاستيلاء على تسعة قراريط يمتلكها أخ له ، فلا يجد أمامه الا ان يتهم أخاه بالجنون فيحضره لمكتب الصحة ، وعلى هذا الاساس تؤيده امرأة جاءت على انها زوجة الرجل المجنون الذي حاول ان يقتلها .. لكن الرجل المجنون لا يقف موقفاً سلبياً ، وانما يبكي ويدافع عن نفسه بكلام معقول جدا بانه حقيقة ليس مجنوناً ، بل ينكر زواجه من المرأة ، ومع شك الطبيب الذي نما في صدق رواية عسكري البوليس يدخل الأخ الثالث ليؤكد ما يقوله الرجل المتهم بالجنون نفسه ، من ان المرأة ليست زوجته وانما هي زوجة عسكري البوليس . ويقرر الطبيب ان يبلغ البوليس لكن الأخوين يتدخلان ويتوسلان للطبيب كي يعفو عن شقيقهما « عسكري البوليس » بل انهما يعرضان ان يدخلا المستشفى حتى لا يحطما حياة أخيهما الاكبر « صاحب العيال » ، ويسكت الطبيب .

هذه هي القصة التي اخذ عنها يوسف ادريس مسرحيته ، قد يكون المضمون فيها صغيرا ، لكنها على كل حال انسانية الطابع .. كاملة الصنعة تماماً ، محبوكة الاطراف .. فكيف . أصبحت القصة التي اعجبته فقرر ان يمسرحها ، ويعمقها ، لتستغرق ثلاثة فصول كاملة .

تفتح الستارة وقد جلس طبيب الصحة (عبد المنعم ابراهيم) ومعه التومرجي صفر (شفيق نور الدين) وسط الدوسيهات والاختام والتواقيع . ومنظر الطبيب اقرب شيء الى منظر الباشكاتب ، حتى يدخل عليه الاستاذ محمد الاول ، مدير شركة مظيونكس وعسكري بوليس يحرس شقيق محمد الاول – محمد الثالث – وقد لبس قميص الكتاف (الدال على الجنون) لتحويله الى مستشفى الامراض العقلية بعد ان حاول قتل زوجته « نونو » (سناء جميل) بالسكين وتحضر نونو وتؤيد اقوال محمد الاول (دون ان يفتح محمد الثالث فمه بتاتا حتى هذه اللحظة) ، وبعد ان يوقع الطبيب على أوراق التحويل للمستشفى وينتهي الامر ، يقوم بسؤال المجنون – ربما كتأدية واجب – ليعرف ما اذا كان مجنونا ام لا ، ومع الحديث يكتشف ان المجنون الحاصل على الدكتوراه علوم الزراعة ليست قضيته قضية محمد الاول (الثلاثة افدنة) وانما الذي يقلقه هو أشياء أخرى تماماً ، بل ان الاسئلة التي يثيرها تكاد تذهب بعقل



الدكتور أيضاً ، فالمجنون تقلقه الشمس التي تصر على الطلوع كل يوم بالرغم مما يمتلىء به النهـار من قتل وسرقة واغتصاب ، يقلقه جيش النمل صيفاً وشتاء ، ، الباحث عن الطعام ولا شيء آخر بالرغم من كل ما يحدث له . وهكذا .. لكن شيئاً ما يحدث فجأة ، فالأخ الثالث (محمد الثاني) يدخل مرعوشاً ليثبت للطبيب ان محمد الثالث ليس مجنونا وانما هو الأخ الأكبر الذي يحـاول الاستيلاء على ارض شقيقه وان المرأة ليست زوجة الثالث وانما هي زوجة الاول وما ان يحاول الطبيب الرجوع للمرأة ليعرف منها ما اذا كانت زوجة الاول أو الثالث — فهي المصدر الوحيد للمعرفة بين ادعاءين — حتى يكتشف اختفاءها تماما ، ويسألهم عنهـا فيجيبون بأنهم لم يروا بتاتا أي امرأة ، كلهم معا ، وتغلق الستارة والدكتور يكاد يجن .

في الفصل الثاني تفتح الستارة وقد تحولت القضية من أخ يزور ويريد ادخال شقيقه مستشفى الامراض العقلية الى قضية طبيب يبحث عن الحقيقة ، اين ذهبت نونو ؟ فالدكتور يرى القضية هكذا ما دام ان نونو لم توجد — حسبما يقولون جميعاً — وما دام انه متأكد من أنها موجودة ، اذن فهناك تناقض لا بد ان يحل حتى يمكن ان يرجع للعقل احترامه .. ويحاول ان يتأكد بأي شكل ويحدث نقاش . لماذا لا يمكن ان يرجع العقل الى مكانه ؟ لأن المثقف أناني عين في الجنة وعين في النار .. لان محمد الثاني ضعيف (يرمز يوسف ادريس به للطبقة البرجوازية) لا ينفذ ولان الاول ضد الحياة ولان الأم التي حضرت على المسرح في نفس صورة نونو فظن الطبيب انها هي نونو ، فيفاجأ بأنها — أمهم — متهمة بأنها لم تكن تبحث الا عن نفسها .. هي متهمة بسرقة الحنان في نظر الثالث .. ومتهمة بسرقة اموال الأب في نظر الاول والثاني والهروب بها الى زوج جديد كان يطمع في سرقتها .. ومرة أخرى تختفي الأم التي اتخذت اسم (كنالة محمد عيسى) لينكرها الجميع مرة أخرى .. وتحضر نوال .. (المرأة نفسها) ليقول محمد الاول انها زوجته ولتقول هي انها مطلقـة محمد الثالث ولا تتعرف على الاول بتاتا وتختفي مرة أخرى لينكرها الجميع مرة ثالثة ويقع الطبيب في تناقض ويشك في كل شيء حتى زوجته التي يطلب منهـا ان تخبره بموضوع المناقشة التي دارت بينهما في الصباح فتنساها ، وبما انه لا يعتقد ابدا أنها قـد حضرت لمجرد الرغبة في رؤيته اذن فهـي ليست زوجته ايضاً ويصرخ الطبيب طالباً بوليس النجـدة ..

في الفصل الثالث يحضر بوليس النجـدة في هيئة شخصين .. جد كل هؤلاء ووالدهم ايضاً (محمد قارون ومحمد الطيب) الجد المتهم بانه سبب تلك المشاكل كلها لانه خلف لهـم ٣٠٠ فدان ليتقاتل الاخوة عليها .. والأب متهم بانه كان يبيع الامتحـانات وتصبح القضية التي اصبح التومرجي صفر (الذي رمز به يوسف ادريس للشعب والطبقة العاملـة) قاضياً ومدعياً وحاجباً أيضاً ، تصبح القضية — التي مظهرها اختفاء نونو بالنسبة للطبيب — هو مَنْ مِنْ هؤلاء هو السبب الرئيسي للمشكلة .. الجد ... الأب .. الأم . المثقف .. الرأسمالي .. البرجوازي .. مَنْ مِنْ هؤلاء سبب المشكلة . كلهم يترافعون ويتهم بعضهم بعضاً ويدافع كل منهم عن نفسه دفاعا مجيدا ومؤثراً .. وتكاد القضية تنتهي فينهيها يوسف ادريس بحل مضحك جداً .. فالجميع بريء ومتهم في نفس الوقت . الرأسمالي بريء لانه رغم كل شيء يريد ان يترك شيئاً لاولاده ، ومتهم لانه وصل في طريقه الى درجة اغتيال أخيه وكذلك الجد الذي كان يجمع الارض لمجرد الفن للفن .. والأب .. اما المثقف فهو بريء ، لانه مثقف ، ومتهم لانه مثقف يهـرب من الحياة ، والبرجوازي بريء ومتهم لانه يرى ويفهم دون ان يقدر على اتخاذ موقف . وتكتمل مهزلة يوسف ادريس ما دام انه لا فائدة ، بدخول زوجة الدكتور التي تذكرت سبب نقاشها معه في الصباح .. لقد كانا يتناقشان ، بل تعاركا ، من أجل ان يحاول الطبيب ترك شيء لاولاده عندما يكبرون ، تماما مثل منطق فاروق (الجد) ومحمد الطيب (الاب بائع الامتحانات) ومحمد الاول الذي رشا التومرجي فعلا وحاول رشوة الطبيب ليدخل اخاه المستشفى وتغلق الستارة والطبيب يصرخ مجنوناً .

هذه هي المسرحية ، فماذا عن استقبال النقاد لها في القاهرة ؟ كتب الدكتور شفيق الحلبي ، في مجلة المسرح العدد ٢٧ ص ٢٨ يقـول :

« لقد عالج كثيرون مسألة الحقيقة والبحث عنها بكل الاساليب الادبية ، وعالجها المسرحيون اما بصورة واقعية واما بصورة رمزية يلعب الابهام فيها دورا كبيرا غير ان اسلوب الدكتور ادريس لم يوهم المتفرج ابدا .. لانه لم يقنعه ، خاصة في مسألة البحث عن الحقيقة هذه ، فهو لم يشأ ان يعترف بالعلاقة بين المتفرجين وبين خشبة المسرح وهي ان المتفرج ينظر الى المسرح من خلال عيني البطل ، ولذلك فان عنصر الابهام في المسرحية ينهار تماماً . فالمرأة التي تظهر وتختفي ، والتي يرمز لها في النهاية بأنها صورة الاحلام الداخلية ، لا ينبغي ان يراها الجميع مجسدة في امرأة واحدة كالام مثلا فلكل شخص احلامه الخاصة اي صوره وتهيؤاته المختلفة . وخاصة اذا كان الاشخاص يرمزون الى طبقات متناقضة منها الارض

(محمد الاول) ومنها السماوي (محمد الثالث) ولذلك اعتقد ان اظهار الدكتور يوسف ادريس للصورة الداخلية أو للحقيقة بهذا الاسلوب لم يكن مقنعاً » .

وكتب الاستاذ احمد بهجت في الملحق الادبي للاهرام يوم ٤-٣-١٩٦٦ « كان كل منهم يدافع عن نفسه بحرارة ويقنعنا (وتلك مقدرة من الكاتب لكن اين روءياه الخاصة) .ان تعاطف الكاتب مع الضعف الانساني والخطيئة وذبذبته بين الحقيقة والظل موقف لا ننكره عليه ما دام لا يوءدي الى مهزلة الحقيقة . لكن موقف الكاتب في المهزلة الارضية ، يوءدي الى تمزيق الحقيقة.

ان ابطاله يهتفون بحياة الميراث أو الاستغلال مثلما يهتفون بسقوطه بنفس الدرجة والحرارة والحماسة والاقناع .... ثمة سكون بارد مروع يوءدي في نهاية المسرحية الى اختيار الطبيب للجنون كحل هروبي يرتاح فيه .

وخلال سكون المحاكمة قضت المسرحية نحبها وكانت الحقيقة ممزقة ومستبعدة ومهيضة الجناح ولم تكن روءيا الفنان تقف معها أو بجوارها وهو المكان الذي ينبغي ان تقف فيه هذه الروءيا دائماً رغم كل ما يقال عن حيرة الكاتب » .

والحقيقة ان كل ذلك صحيح تماما فبين التحديد الفكري الواضح في القصة القصيرة (فوق حدود العقل) التي هي أصل المسرحية والمسرحية التي يقف الكاتب فيها وسط كل الطرق . سار يوسف ادريس شوطاً طويلا منذ ان كتب قصة « اللعبة » ثم بقية المجموعة التي اصدرها في مجموعة (لغة الاي آي) .ولذلك فيوسف ادريس يحتاج الى شرح طويل نرجو ان نرجع له مرة أخرى بالتفصيل ..

حكايات لاذعة

في موءتمر سياسي عقد في روما جرت المناقشات حول المهام التي تضطلع بها هيئة الأمم ، فقال أحد الساخطين على الهيئة :

— انها لمهمة خطيرة تلك التي تضطلع بها هيئة الأمم . ولا سيما في حالة نشوب نزاع بين دولتين من الدول الاعضاء فيها ، فهي تسعى لازالة هذا الخلاف ان كان بين دولتين صغيرتين . فاذا كان بين دولة كبيرة واخرى صغيرة فان الهيئة تسعى لازالة الدولة الصغيرة ، أما اذا نشب خلاف بين دولتين كبيرتين . فان الهيئة نفسها تصبح في خطر ، اذ يتجه التفكير الى ازالتها هي !

....

كان النائب « برتو » يلقي خطبة في البرلمان الفرنسي .فقاطعه زعيم المعارضة بقوله :

— انزل عن المنبر ايها الراعي الشرير !

فصاح برتو : كيف يستطيع الراعي ان يكون صالحاً ما دمت أنت كبش القطيع

نزل احد الادباء في فندق ، ولما سأل عن اجرة الغرفة قال له صاحب الفندق :

— دينار يا سيدي .

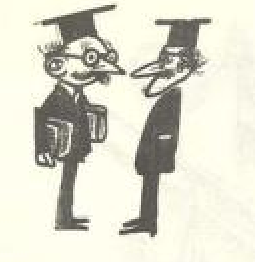
قال الأديب : أليس عندكم للأدباء امتياز ؟

قال صاحب الفندق : نعم ، نطلب منهم ان يدفعوا مقدماً .

....

اراد عميد احدى الجامعات ان يهدي الى صديق له نسخة من كتابه الجديد . فكلف ناشر الكتاب ارسال تلك النسخة . فأرسل الناشر نسختين لا نسخة واحدة . وبعد حين ، قابل العميد صديقه وسأله : هل جاءك كتابي الجديد ؟

فأجابه : نعم وقد انتهيت من قراءة الجزء الاول وكدت افرغ من قراءة الجزء الثاني !!



نشرت صحيفة فرنسية الاعلان الآتي :

« المسيو دومرج يعلن زبائنه الكرام انه شفي والحمد لله مما ألم به من مرض وعاد الى تسلم اعماله في دكان البقالة المعروف باسمه » .

ثم وضع الحاشية التالية :

« المسيو دومرج البقال لا تربطه رابطة ما بالمسيو دومرج رئيس الوزارة ! »

بين الماضي والحاضر

عبد الله عبد العزيز الدويش

جار الزمان ودار دولاب الاقدار   وافتر دولابـه عـلى كل جاير
وتغيرت فيـه الاكابر والاصغار   حتى غدينـا بين غاير وثابـر
يا عيني كم شفتي من الناس عيار   ويا نفس كم ذقتي العنـا والمراير
ويا رجل كم طفتي مع الدرب مشوار   ويا قلب كم غـارك من الوقت غاير
كنا بوقت فات والبال محتـار   واليـوم اشـوف غير عشايـر
اللي خبرناهـم بذاك العهـد صار   في فعلهـم سـادوا على كل صابر
اللي تبنوا بالمـروة والاذكـار   بانت معـالمهم ابعـالي الزباير
أهل الكرم والجود في الموسم الحار   يجلون وقـت الضيق عن كل حاير
حارت بي الافكار مع كل معبار   وازريت ادير الراى في كل ساير
أيام وقت الغوص كنا والاسفـار   نعـوم في بحـر غبيبـه غزاير
الى ضوانا الليـل طار الكرى طار   والعين عـن لـذة وسنها سهاير
الغوص يا هل الغوص لو كان مدرار   ميران حـدثتـا بـه امور عساير
الى رسوا بالهير والخشب سنيـار   تشبـه سفين لـبين يامٍ وشايـر
هذا يغوص وذاك يفلـق المحار   وهــذا يعوهـل الربـع يبي يخاير
وهذاك يبرخ يبي يساني للاهيـار   يقـول هـذا الهـير كله خساير
محلا سفنهم لي رست قبل الاسحار   مثـل النجـوم الثاقبـة بالنضاير
لي اذن المؤذن قبـل طـر الانوار   مـول عليهـم بالفرح والبشاير
وقت الفليج الصبح والشمس مظهار   الكـل منهـم يطلب الله سراير
يرجون فلق الدانـة اللي لها كـار   طـواشهـم سوامهـا بالقراير
ما قال فيهم قط يـوم ولا بـار   الا ومـاخـذ بالمخمـل صراير
كسب الرزق مـا هو بعيب ولا عار   ذا رزقنـا مـن يوم حنـا صغاير
والله ما انسى يوم انا كنت بحـار   في وصفهـم واللي يقـولون صاير
الداويا منصور اقفـا بالانشـار   خلاك في بنـدر « كاليكوت » بابر
وتيسير عـلا والهوى دار له دار   وارسى امبنـدر بالشويخ الاثاير
عشنا بوقت فيـه ليعات وامـرار   بين السفر والغوص كنـا طراير
النوخـذا بالغوص طالبك جبـار   ويدورك وقت السفـر بالعوايـر
وانت الذي مـا بين الاثنين محتار   ضـاقت عليـك الواسعة والعباير
النفط سال او غار به كل من غار   وافتر دولابـه على كـل جاير



عالم الكتب

اعداد: سليمان الشطي

كتب صدرت :

اسم الكتاب : قصة الفلسفة

المؤلف : ويل ديورانت المترجم احمد الشيباني

الناشر : المكتبة الأهلية عدد الصفحات : ٩٢٦ صفحة

عرف قراء العربية « ديورانت » من كتابه الرائع « قصة الفلسفة » الذى لاقى نجاحا باهرا عندنا . وهذا كتاب آخر يسير على ذاك الاسلوب السهل المبسط نفسه ، دون ان يكون لهذه السهولة أى أثر على المعنى والقصد الفلسفى فهو للقارئ العادى ، يقرأه فيفهم كل غوامض الفلسفة ويزيل ذلك الوهم الذى ضرب ستارا حديديا على الفلسفة . وهو أيضا للباحث المنقب يجد ضالته المنشودة ، وليس ادل على عمق معناه وجدية بحثه مما رواه المؤلف في المقدمة من ان احد اساتذة الفلسفة في احدى الجامعات ظل يدرس « كانت » خمس عشرة سنة ولكنه لم يفهمه الا عندما قرأ الفصل الابتدائى عنه في هذا الكتاب ... وليس ادل على نجاحه من انه طبع منه أكثر من مليون نسخة ، وهذا رقم قياسى بالنسبة لكتب الفلسفة .





اسم الكتاب : ثرثرة فوق النيل

المؤلف : نجيب محفوظ الناشر : مكتبة مصر

عدد الصفحات : ٢٠١

بعد « الثلاثية » اختار نجيب محفوظ قلم يعد عنده ما يقوله تحت ظلال المدرسة الواقعية ، فصمت فترة من الزمن ، ليعود مرة ثانية ، بشكل واسلوب جديدين ، وفي فترة لا تتجاوز السبع سنوات دفع للسوق حوالى خمس روايات ومجموعتين من القصص القصيرة وكان آخر هذا السيل المنهمر ، رواية « ثرثرة فوق النيل » وتدور حوادث هذه القصة في عوامة فوق النيل وكأنه اراد ان يفصل نماذجه الفلسفية ، فهم منفصلون عن الارض ولا يخضعون لها او للمجتمع ، انهم افكار ، وهم كما يقول المحامى مصطفى راشد ، وهو احد هذه النماذج ، يقول : نحن نعمل للرزق في نصف اليوم الاول ، ثم نجتمع بعد ذلك في زورق ليسبح بنا في الملكوت ...

اتجاه جديد ولكن بالرغم من المناقشات التى اثارها فانه يحتاج إلى مرحلة زمنية اخرى يتبلور فيها أكثر ، ولعطى نجيب محفوظ هذا الشئ الجديد قبسا من الشرف .



اسم الكتاب : بعـد السـقوط

المؤلف : آرثر ميلر — المترجم : علي شلش

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر — عدد الصفحات : ٢٩٦

آرثر ميلر هو القطب الثاني للمسرح الامريكي المعاصر ، وهذه المسرحية جاءت بعد تسع سنوات عجاف ، وفشل في زواجه الثاني من « مارلين مونرو » التي انتحرت بعد انفصالهما ، فهذه المسرحية سبقتها معاناة شخصية ، فليس بمستغرب ان تكون مثالا للتكامل ، كما ان الكثير من حياة المؤلف تكون ملامحها العامة .. فكوانتين بطل المسرحية ، محام ناجح مثقل بالهم والقلق ، فقد فشل في زيجتين متتاليتين ، ولهذا فانه يتساءل عن الحق الـذى يدفعه إلى زواج آخر ؟

ويمضي من الزمن ثلاث ساعات ونصف فيها محاولة للجواب على سؤاله ، يظهر فيها ظاهر كوانتين وعلاقاته ، كما انه تطفح على السطح كل خوالجه الداخلية ، ويعثر من خلال الحوار الطويل على حقيقته فيستعد مرة اخرى للـزواج .



★ اسم الكتاب : « العبقريات الاسلامية »

المؤلف : عباس محمود العقاد الناشر : دار الاداب

عدد الصفحات : ٩٠٣

يمثل العقاد جيلا كاملا من الفكر العربي ، وهو واحد من اولئك الموسوعيين الذين قامت على اكتافهم النهضة الفكرية الحديثة .. و« العبقريات الاسلامية » هي بحق اهم اعماله التي تصل الى ثمانين كتابا وقـد احسنت دار الاداب صنعا بجمعها في مجلد ضم، عبقريات ستة من وجوه الاسلام الخالدة وعلى راسهم الرسول العظيم ثم عبقريات الصديق ، وعمر ، والامام علي ، وعثمان ، وخالد . كما انه ضمن كتابه النادر « مطلع النور » الذي طبعته دار الهلال منذ مدة طويلة.ولعل منهج البحث واضح معروف ويلخصه في مطلع « عبقرية عثمان » حين يقول ـ تحت عنوان « على العهد » ، يقول : « وانما يعنينا من الحادثة التي نستبينها انهـا وسيلة الى مقصد واحـد : وهو التعريف بالنفس الانسانية في حالة من احوال العظمة والعبقرية او حالة من احوال النبل والاريحية » .

فالعقاد في دراسته لهذه الشخصيات يستغـل الحادثة ويفسرها تفسيرا نفسيا ليصل الى اعماق الذات العبقرية وهو يرى ان العبقرية لا تكون الا اذا اتصلت بظروف تهب هذه العبقرية الفرصة لكي تثبت عبقريتها ، فعمر بن الخطاب لم يكن عمرا الا عندما اتصل بالاسلام ولولاه لضاع في مجاهل التاريخ « فعمر بن الخطاب وليد الدعوة المحمدية دون سواها » .

كتاب جامع شامل ، حبذا لو جمعت كل اعمـال العقاد ونسقت حسب مواضيعها فهي تراث عظيم لرجل ممتاز ..

سليمان الشطي

الفوضوية في الأدب

ان تاريخ الجنس البشرى ليخلو من ذكر حضارة انسانية بلغ انحلالها ما بلغته حضارة هذا العصر ، ذلك الانحلال الذى بدا واضحا في كتابات الفلاسفة والادباء ، في اواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، وابرز مظـــاهره هو ضعف الايمان برسالة الانسان على ظهر الارض ، بل فقـدان الشعور بأهمية الحياة ذاتها .

وهذه معان قد تسمو عــن مدارك جموع الناس التى تحيا حياة رتيبة لا تخرج عن اداء العمل اليومى ثم طرق بعض سبل التسلية ، ثم الاستغراق في النوم . فمن الصعب ان نقيس درجة استجابة هؤلاء لكبرى الحادثات في هذا القرن . كظهور المفاعل الذرى مثلا . ومن الصعب ان نلمس عــن كثب ما قد يعتريهم من قلق أو تشاؤم . ولكن ادباء العصر ومفكريه في الغرب ، وهم ألسنته المتكلمة يختلف امرهم عن عامة الناس فيه ، فهم ينظرون في عصرنا هذا الى كل شيء نظرة إلحاد . وقد فشت هذه النزعة .

وأهل الفكر والكتابة بعــد الحروب الاخيرة والمخترعات الحديثة لا يرون في الحياة البشرية على سطح الارض سبباً واحدا يبرر بقاءها ، ولا يثقون بقدرة الانسان على استخدام الطبيعة لصالحه ، ولا بغرائزه وميله الى الخير دون الشر ، فالحياة في نظرهم لا تعدو مرحلة في ظلام ليل طويل حالك تكتنفها المخاطر والاهوال .

ان مأساة المجتمع في القرن العشرين ، وخصوصاً المجتمع الغربي ، ترجع الى ان الانسان قد جعل نفسه بمعزل عما كان يعتقده اجداده . فثقافته اليوم وعاداته ونظرته الفلسفية الى الحياة تقوم كلها على ازدراء القديم . والتهوين من شأنه . فلا الدين عاد يؤثر في نفسه ، ولا الحياة اللينة المستقرة عادت تشبع نهمه الى التجديد ، ولا الآداب التي تعنى بالعاطفة والمشاعر عادت تهز جوانحه . فان تقدم العلم الجنوني زلزل فيه كل عقيدة ، وجعل منه ذرة في عالم يرهب قوة الذرة ويرى فيها أعظم ضمان للبقاء .

والوزر في ذلك كله يقع على عاتق « داروين » الذي خرج عام ١٨٥٦ بكتابه « أصـــل الانواع » ، وذهب فيه الى ان العالم لم يخلق من أجل الانسان بل ان الانسان صدفة من صدف تكامل الظروف الطبيعية . واصله حيوان وضيع من ذوات الخلية الواحدة ، ثم أخذ يتطور في احقاب طويلة الى ان بلغ ما هو عليه اليوم من الرقي ، وهي ما يعرف بنظرية النشوء والارتقاء ، وهي نظرية أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة . الا ان الثوب العلمي الذي ألبسها داروين أياه ومذهبه المتفرع عنها في ان الحياة ميدان للكفاح بين المخلوقات والبقاء فيها للاصلح كان لهما أثر بعيد في زلزلة الايمان بما جاءت به العقائد من تفصيل لأصل الانسان وحض على فعل الخير وبذل العون للغير ، وقد كان مذهب داروين بداية الطريق الى ما يعانيه اليوم المجتمع الغربي من فوضى اجتماعية وخلقية وفي اركان العالم بأسره ، فقــد مضى الانسان في طريق الالحاد ونبذ القواعد الثابتة للخلق السليم الى حد لم يعد يستطيع معه ان يرجع الى حيث بدأ لتقوى فيــه العقيدة الدينيــة .

ان الاديب صورة للعصر الذي يعيش فيه .وأدب العصر الاوروبي هنا في امريكا وأوروبــا يردد صدى ما يجتاح الجماعات من شك في قيمة الحياة واستهانة بامر الدين وذعر وقلق نتيجة لجنون القوة والسرعة الذي يسيطر على حياة الامم والافراد . ولقد زاد

...الغربي

بقلم: هداية السلطان السالم

هذا الخطر شدة بعد ان نشر « سيجموند فرويد » تعاليمه الجديدة هناك عن النفس البشرية ذاهباً الى ان للانسان حيوانية واخرى اجتماعية مهذبة وان الرغبة الحيوانية أو الغرائز البدائية للانسان هي التي تتحكم في سلوكه وهي التي توحي الى الفنان ما يكتب أو يرسم . ولقد حطم مذهبه – فرويد – هذا عقيدة الانسان في نفسه واصبح المؤرخون والكتاب الاوربيون يرسمون شخصية الانسان كآلة تحركها الغرائز الحيوانية الدفينة . أما العقل والارادة فهما مظهران لهذه الغرائز ليس لهما وجود مستقل بهما ..

وقد جاء مذهب فرويد القائل بان اللاشعور هو المسيطر على سلوك الانسان بعد مذهب داروين في النشوء والارتقاء بسبعين عاما أو تزيد فكانا معولي هدم لعقيدة الانسان في ربه وفي نفسه . وساعد على ذلك كارثتا الحربين العالميتين بما تمخضتا عنه من أهوال وفواجع جعلت الفرد هناك لا يثق بقادته ولا بعلماء جيله وكتابه ، ولا حتى في نفسه ، واصبحت فلسفة الهدم – هدم كل عقيدة وقاعدة من قواعد الخلق السليم – هي الفلسفة الوحيدة التي يقبلها ، اذ ثبت له ان حياته لا تساوي رصاصة واحدة ، وان الصراع في سبيل البقاء لا يعترف بسمو في العقيدة أو كمال في الخلق . فما عليك في المجتمع الحديث الاوروبي الان تشحذ كل سلاح من الخبث والغدر والتخلي عن ارفع صفات البشرية لتعيش . وهذا حال يرتد بالانسان الى عهد الهمجية الاولى وفترات ما بين المرسلين ، حين كان يسود الناس قانون الغابة ، القوى يأخذ دائماً والضعيف يفقد دائماً كذلك

وان كتاب الغرب اليوم لهم أبواق تلك الفلسفة الجديدة ، فهم لا يتقيدون بعرف أو تقاليد ، واسس الخلق التي وضعتها الاديان ليس عندهم الا غطاء واه يجب نزعه قبل الكتابة عن الانسان ، حتى تبدو حقيقته واضحة لا رياء فيها . وهي انه في الاعماق حيوان لا أقل ولا اكثر . وهكذا ترى

كل قصصهم واكثرها تدور حول الغريزة الجنسية حين تنطلق من عقالها ، وما اكثر ما ترى في تلك القصص من مواقف فاضحة تنبو عن كل ذوق سليم ، وكلها تعبير صريح عن شهوة الجسد وصرخة الغريزة .

وبعض الكتاب اختاروا في قصصهم وكتاباتهم وضعاً لاناس يميلون الى العزلة ، ويعذبهم الشعور بالاثم ، وينأى بهم الشذوذ الخلقي عن مستوى البشر العادى ، وهؤلاء الذين يصورهم بعض الكتاب في شيء من المبالغة انما استمدوا صورهم مما حولهم من حياة كلها قلق وهم وتشاؤم مما يخبئه المستقبل .

حتى فن الرسم انتابته تلك العلة فاصبح الرسامون لا يرون في قواعد الفن القديم التي ترمي الى ابراز ما في الطبيعة من جمال وما في الخلقة البشرية من جلال أو معنى روحي عميق ، أطلقوا هم الاخرون غرائزهم من عقالها ، واتخذوا من الرسم وسيلة للتعبير عن الرغبات المكبوتة في اللاشعور فما عليك الا ان تمسك بالريشة ، وتغمسها في السائل الملون وتضرب بها على سطح القماش بما تشاء غرائزك من خطوط . وليكن بعد ذلك ما يكون . فقد تكون النتيجة مجموعة مشوهة من الالوان وقد تكون ايضاً لوحة جنسية فاضحة . فليس الغرض من الرسم الحديث سوى ايجاد منفذ للصور التي تكمن في اعماق اللاشعور .

ومن الفلاسفة الذين تزعموا حركات الاصلاح الاجتماعي والتقدم العلمي في اوروبا ، جان بول سارتر الذي يرى ان من الجبن الا نعترف بتفاهة الحياة وغموض ما بعدها ومن الجبن أيضاً الا نوطد العزم على تقبل هذه الحقيقة . وما دام الامر كذلك فليكن اعتمادك في هذا العالم على نفسك دون غيرك ولتعش سيد وقتك . ولتكن كل عاطفة فيك وكل مرض او صحة في الجسد نتيجة لارادتك . فانه ليس هناك قوة خارجة عنك تسبب لك ذلك .

* * * *

ومذهب سارتر هو نهاية الجمود للادباء ، وغاية الهدم لكل قيم الخلق البشري ونتيجة لشعور الانسان في العصر الحاضر بخوف الموت وما بعده وبتفاهة الحياة التي يحياها على صورتها الراهنة . وهذا المذهب وكل ما سبقه من مذاهب الهدم انما نما كما تنمو الاعشاب الطفيلية في الحقل فتذهب بزرعه ، ترعرعت هناك حتى ضعف الوازع الديني ونبذ الناس تعاليم المرسلين ووضعوا الكتب التي تضيء بكلام الخالق على ارفف الكتب ، وخلصوا الى المادة يبغون الحصول على اكبر قدر منها والى الحياة الدنيا يجعلون منها أول هدف وآخر غاية .

وان ما تنذر به الامور من حوادث جسام لا بد واقعة في الغرب لتجعلهم في يقين من ان حضارتهم تتهيأ للقبر .

هداية سلطان السالم

كنت من رعايا

كنت في الثانية عشرة من عمري عندما باعني ابي في سوق الرقيق ، كما تباع صغار الدجاج والكلاب ، أو صغار الحمير . ولست الومه على ذلك ، فقد كانت الدموع تملأ عينيه عندما باعني .

كنا نعيش في « تراقية » شرقي المملكة الرومانية ، وارهقت والدي الضرائب الفادحة في ذلك العهد الذي كانوا يمتصون فيه دماء فقراء الشعب ليقدموا تلك الأموال أتاوة الى قبائل الهون التي طبقت شهرتهم آفاق العالم .

وعندما تريد الأم ان تسكت طفلها الباكي ، يكفي ان تقول له : اسكت .. فقد جاء الهون . فيسكت الطفل خوفاً وفزعاً .

وكنت ارى رجال الهون في احلامي ، فاصحو من نومي فزعا وأنا اهذي من الخوف .

وكان الرومان الحاكمون يرغمون سكان مدينتنا المساكين على تقديم مواشيهم الى الهون ليأمنوا شرهم .

وفي ذلك الوقت حملنا امي المسكينة الى قبرها ، وبقي والدي لوحده ومعه ستة أطفال وبقرة واحدة ، وكان لابد له لكي ينهض بأعباء هذه الأسرة ، من ان يصحب الى السوق احد هؤلاء الأطفال او البقرة .. وكنت انا الذي وقع علي الاختيار .

اخذني والدي على ظهر سفينة اوصلتنا الى القسطنطينية ، وهناك دهن قدمي بالزيت حتى تبدوا نظيفتين لامعتين . وعرضني للبيع



الهجين

ترجمها عن الألمانية : لؤي طه الراوي

في سوق الرقيق حيث كان هناك حوالي الثلاثين ممن في مثل سني معروضين للبيع مثلي . وجاء بائع ملابس يطلب شرائي ، ثم جاءت امرأة عجوز تلف حولها وشاحاً من الحرير الاخضر ، ووقف الاثنان يساومان ابي على شرائي . فطلب عشر قطع ذهبية ثمنا لي ، لكنهما غمزا بأعينهما استهزاء وسخرا منه وانصرفا .

وبعد ذلك جاء رجل بدا انه من اعيان المدينة ، يسير بكبرياء بملابسه الانيقة وامامه اثنان من عبيده يبعدان الناس ليفسحا لـه الطريق . ولم يكد يسأل عن ثمني حتى طلب والدي قطعتين ذهبيتين فقط ، فدفعهما السيد في الحال دون مساومة ، وهنا شهق والدي بالبكاء وراح يقبلني ويقول :

— لتتولاك عناية الله يا ولدي ، فكر في امري عندما يخالفك الحظ . لقد رضيت ان اقدمك لهذا السيد بهذا الثمن البخس حتى أضمن لك حياة سعيدة في بيت غني .

وكانت تلك آخر مرة رأيت فيهـا والدي الحنون .

كان السيد الذي ابتاعني رجلا مهيباً اسمر البشرة وعندما يدير رأسه بكبرياء ، يبدو كأنه نسر منتصب . وقد ذكرني وقع اقدامه وهو يسير ، بوقع اقدام صبيان « تراقية » وهم يسيرون بأحذيتهم الجديدة في العيد ، في طريقهم الى الكنيسة .

وعندما وصلنا الى بيت هذا السيد ، وكان اسمه ماكسيمينوس اغتسلت وارتديت ثوباً ابيض جميلا ، وطوقوا خصري بنطاق من



الجلد الاسود . وجيء بي الى ماكسيمينوس الذي اصطحبني معه الى حديقة الدار حيث كان هناك ثلاثة اولاد يلعبون تحت سقيفة ، وقـال السيد لاولاده :

— هذا هو مملوككم ... واسمه تيوفيل .

كان الاولاد في مثل سني تقريباً . اثنان منهمـا يكبرانني بعض الشيء ... أمـا الثالث فاصغر مني بقليل . وكانوا يشبهون أباهم ، اذا استطعنا تشبيه الصرصور بالجاموس ..

وكان سرور الاولاد بقدومي غامرا ، كما شعرت بقلبي يخفق لهم ، انهم يحتاجونني كرفيق لهم في العابهم فقط ، ولكنني بعد فترة وجيزة اكتشفت انهم ينظرون الي نظرتهم الى خروف او كلب صغير او قطة تصلح ان تكون رفيقة لعب لطفـل مدلل شرس الطبـاع .

اخذوا يجعلونني هدفاً للرماية . يطلبون مني ان اقفز ، ثم يرمونني بثمار الليمون . وكان اللعب يطيب لي ما داموا لا يصيبون الهدف . وسادهم الفرح والحبور عندما اخذت اصرخ الما مـن الضربات الموجعة . والقيت بنفسي على العشب لأتفادى ضرباتهم الموجعة . تجمعوا حولي وبيدهم اغصان مليئة بالاشواك وراحوا يضربون بها قدمي . وكانت الآلام اكثر مما احتمل ، فهاجمت اكبرهم سنا ودفعته بقوة ، فاصطدم رأسه بشجرة . وبدت الدهشة على وجوه الاولاد . وركض الكبير الى البيت وهو يصرخ باعلى صوته مناديا المربي . وفي تلك اللحظة علمت انني اقدمت بغباء على حماقة لا تغتفر . وتمنيت لو انهم طلبوا مني تفسيرا ، اذا سأقص عليهم ما فعلـه بي هؤلاء الاولاد الاشرار . وفي تلك اللحظة وصل المربي ، وعندما علم بما فعلت ، راح يحملق في وجهي مستنكراً . فقلت له وأنا اجهش بالبكاء :

— سيدي ، لقد آلمني هؤلاء الاولاد ..

لكنه صرخ في وجهي معنفا : — انك مملوك هنـا ..

وانهال علي ضربا ، وعلى صوت صراخي خرج الأرقـاء الآخرون من الدار ، وجاء احدهم بسوط ، وراح يضربني بوحشية حتى سالت الدمـاء من جسدي ..

ومنذ ذلك اليوم اخذوا يتسلون بمضايقتي ومعاكستي واستثارتي ولو انني استطعت ان اخفي غضبي وأمنع دموعي ، لفقدوا عنصر التسلية في استثارتي ، ولانصرفوا عني . ولكن انى لأحد في مثل عمري ان يسيطر على اعصابه ومشاعره ؟ وهكذا اصبحت هدفاً لتسليتهم .. المملوك غضبان .. انه شيء مضحك .. لقد كانوا يستفزون حتى الكلاب المربوطة بالسلاسل .. ليتمتعوا بغضبها .

ولم يكن الاولاد يجرؤون على ايذائي امام امهم وأبيهم ، بل كانوا يفعلون هذا عندما نكون لوحدنا ، او في حضور الارقاء الآخرين . وهناك عرفت حقيقة مشاعر المملوك التي تتغلغل في اعماق نفسه . كان اولئك الرقاء يشجعون الاولاد على ايذائي ويشاركونهم ضحكهم وسرورهم .

وكان من احب الالعاب الى هؤلاء الاولاد ان يلوثوا وجهي بالأوحال وأسوأ انواع القاذورات الاخرى او يضعوا حبلا حول رقبتي ليلعبوا لعبة الجلادين . ويتسلق اكبر الاولاد شجرة وبيده



طرف الحبل الملفوف حول عنقي ، ثم يبدأ بسحب الحبل وهو على الشجرة ، بينما يمسك الصغير بيدي من الخلف وكان صراخي اليائس يزيد في سرورهم من هذه اللعبة .

و كانت لهم لعبة شيطانية أخرى ، هي لعبة « الشحاذ الاعمى » اذ يعصبون عيني ويقودونني الى حوض الماء الذي تتوسطه نافورة وهناك يديرون ظهري ناحية الماء ، ثم يقذفونني في الحوض وانا معصوب العينين . وفي احدى المرات وضعوا على ظهري كلبا ، وربطوه ربطا محكماً ، وراحوا يضربونه بقسوة ، مما جعل هذا الحيوان المسكين يعضني من رقبتي ومن اذني بسبب آلام الضرب الذي كان يناله .

وفي مرة أخرى ربطوا ساقي الى بعضهما البعض ، وطلبوا مني ان اواصل السير قفزاً ، في اتجاه معين ، حتى اذا وصلت الى اشجار الورود ، قذفوا بي وسط اغصانها المليئة بالشوك .
وعندما كنت اصطحبهم في نزهتهم على شاطيء البحر ، كانوا يقذفون بعصا الى الماء ، ويطلبون مني ان اجلبها لهم ، و كانت هذه المهمة بالنسبة لي في غاية السهولة ، فقد كنت أجيد السبا كما تجيدها السمكة ، ولكنني عندما كنت استدير لأعود الى الساحل ومعي العصا ، كانوا ينهالون علي بالحصى .

وعندما كنا نجتمع لتناول الطعام في البيت ، كانوا يبصقون في طعامي ، أو يلقون فيه الاقذار ، حتى لا آكله ، وفي الليل يضعون جلود القنافذ في فراشي ، ويصبون الصمغ على شعري ، و كان علي ان اتحمل هذا العدوان كله ، لانني مجرد مملوك ..

وكم توسلت اليهم وانا أجهش بالبكاء ، كنت اقول لهم : يــا سادتي الصغار ، دعونا نلعب بوئام ، بلا مضايقات واذى انني اعرف العابا كثيرة ساعلمكم اياها ..
وفعلا كنت اعرف العاباً كثيرة وكنت اعلمهم اياها ولكنهم سرعان ما يشبعون منها ، ويعود بكائي وعويلي المصدر الوحيد لسعادتهم واللعبة المفضلة لديهم ..

في احد الايام ، عند الظهر ، وكانت قد مرت عشرة ايام حافلة على وجودي في ذلك البيت ، التهمت طعامي بسرعة ، وهربت من هؤلاء الاولاد حيث اختبأت في احد اركان الحديقة ، وقررت ان لا اخرج من مخبأى هذا حتى يستدعي الاولاد معلمهم ويعود بهم الى المنزل ، وزحفت وسط احد الادغال الكثيفة ، ثم اضطجعت هناك ، وأخذتني سنة من النوم ، ولا ادري كم مضى من الوقت عندما قفزت فزعاً من الم رهيب في قدمي .. لقد وضعوا نشارة الخشب تحت قدمي واشعلوا فيها النار .. وقفزت من بين الادغال لأجد الصغار الثلاثة وقد وقفوا منحنين وهم يمسكون بطونهم من شدة الضحك ، ولم استطع ان امسك اعصابي فهجمت عليهم والقيت باحدهم على الارض الى اليمين ، والقيت بالآخر الى الشمال ، ولطمت ثالثهم لطمة شديدة على وجهــه وامسكت بشعر رأسه والقيته على الارض . وبعد ان القيت بثلاثتهم على الارض ، جلست على العشب ، واخذت أضع اصابعي في فمي ابللها وامسح بها الحروق التي اصابت قدمي وانا ابكي بحرقة .

وعلى صوت صراخ الاولاد وبكائي ، جاء سكــان الدار يركضون الى الحديقة ، و كان سيدي يقف في شرفة البيت يتحدث الى احد الزائرين ، عندما سمع الصراخ ، وسأل عن سببه ، فكان الجواب ان جاء احد المماليك وامسك بي ثم جذبني بعنف حتى وقف بي تحت الشرفة وقال لسيده : ان هذا الصبي التافه كان يضرب السادة الصغار ..

ورأيت السيد العظيم وقد اصفر لونه من الغضب ، ولاحظت انه حاول اخفاء غضبه امام الزائر الغريب فأومأ برأسه مطالبا ابعادى ولكن تلك الايماءة كانت تعني في الوقت نفسه ان عليهم ان يجلدوني

بالسياط . وجثوت على ركبتي وقلت وأنا اجهش بالبكاء :

– سيدي .. لقد احرقوا قدمي ..

ولكن المملوك لم يدعني اتم حديثي . بل جرني بعيداً عن الشرفة وهناك اجتمع علي الارقاء وضربوني ضربا مبرحاً حتى لم اعد قادرا على الحركة . كانت دموعي فقط هي التي تنهمر بدون انقطـاع ..

ومضت اربعة ايام وانا عاجز عن النهوض . حتى استطعت ان اجر نفسي جرا لاخرج الى الخلاء . وكان الوقت قبل الظهر ، وهو الوقت الذي يكون فيه السادة الصغار مشغولين بدروسهم . ولا يخرج فيه احد الى الحديقة . وسرت قليلا . ثم القيت بنفسي على العشب لاتمتع باشعة الشمس . حتى الحيوانات المريضة تبحث عن اشعـة الشمس .

وشاهدت وانا مضطجع على العشب . ذلك السيد البدين الذي كان يقف مع سيدي في الشرفة منذ اربعة ايام ، شاهدته يسير في الحديقة ، ذاهلا عما حوله ، وكان يرتدي ثوباً ناصع البياض لم يكن فضفاضاً كثياب الشيوخ . لكنه كان يشبهها .

ورأيت السيد يتجه ناحيتي ، ويقف امامي . وأخذت افكر . ليس واجباً علي ان اقف امامه الان ، فهو ليس من سكان الدار ثم انه لا يستطيع ان يفعل لي شيئاً .

لكنه ظل واقفاً امامي ، وانبعث صوته لطيفاً حانياً وهو يقول .

– هل انت مريض ايهـا الصغير ؟

وامتلأت عيناي بالدموع ، وقلت وكأنني اتحدث الى والدي آمنـاً :

– سيدي . لقد ضربوني بقسوة . رأسي وظهري يؤلمانني كثيرا ، وآلام قدمي المحترقتين اكثر واكثر .

ورفعت ثوبي لاكشف له عن ظهري الذي كان مليئا بآثار السياط الحمراء والزرقاء .

وراح هذا الضيف الغريب يتأملني صامتاً . فرحت اشكو اليـه ببراءة الطفولة قائلا :

– انهم يعاملونني معاملة الكلاب . بل اسوأ من هذا بكثير انهم يشعلون النار في قدمي ويضحكون من آلامي واوجاعي . وليس هناك من يعاقبهم على هذا .

وبعد ان القي بنفسي مضطجعاً في فناء الدار لاستريح من الضرب المبرح يأتيني هؤلاء الصغار ليضربوني ويركلوني بارجلهم وهـم يقولون :

– خذ هذا .. اتريد صفعة على وجهك ؟

آه يا سيدي .. انا اشعر تماما بانني سأموت في هذه الدار ..

وفي تلك اللحظة . وبينما كنت اشكو سوء حالي لهذا الضيف ظهر سيدي ماكسيمينوس . وحيا الزائر ، وصافحه . فسأله الضيف

– هل لك ان تبيع لي هـذا المملوك الصغير ؟

واجـاب ماكسيمينوس :

– بكل سرور . انك تؤدي لي خدمة كبيرة لو انك قبلته كهدية صغيرة مني ..

واجاب الزائر :

– كلا .. انما سأدفع لك قطعة ذهبية واحـدة حتى يكون الأمر موضوع بيع وشراء .

وأجاب ماكسيمينوس بلطف :

– كما تشاء ..

وبعد ان تجول الرجلان في الحديقة وهما يتحدثان بعض الوقت اقتادني سيدي الجديد من يدي وخرجنا من بيت ماكسيمينوس . وبعد ان اجتزنا ثلاثة او اربعة شوارع . وصلنا الى بيت يتألف من طابقين اقيما من الخشب . بينما اقيم جزء من طابقه الاول بالحجر وكان بيتاً جميلا .

انني لن انسى ابداً ذلك اليوم . كان الرجل الذي انقذني يدعى ريتور بريسكوس . وهو يعيش لوحده في غرف الدور الارضي من بيته . بين كتبه واوراقه . وتقوم على خدمته امرأة يونانية عجوز وهي التي اقتادتني عند وصولي الى الدور الثاني حيث هيأت لي فراشاً وثيرا ودهنت الجراح التي في جسدي بالزيت .

وبعد ان شفيت من جراحي ، أمر بريسكوس ان يصنع لي ثوبان ، احدهما من الصوف الأبيض الموشى بحواشي من الحرير الأخضر ، حتى ارتديه في الحفلات والمناسبات والاعياد ، والآخر من الخام الابيض ارتديه في الايام العادية .

وفي الصباح اصطحبتني السيدة اليونانية العجوز لشراء بعض الحاجيات من السوق ، ثم ذهبت بعد ذلك الى المدرسة التي الحقني بها سيدي الجديد ، وبعـد الظهر ، ارتديت الثوب المخصص للحفلات وصحبت سيدي الى قصر القيصر .

وكان من واجباتي المعتادة ان احمل اوراق البردى واسير بها خلف سيدي . وكم كنت اشعر بالفخر وانا اؤدي هذه المهمة !!

لقد كان سيدي رجلا طيباً . وكثيراً ما كان يربت بيده الرحيمة على وجهي . كما كان يناديني على سبيل الدعابة والتحبب باسم (زينا) . وسرعان ما سمعت السيدة اليونانية العجوز بهذا الاسم وراحت تناديني به . واخيرا بقي هذا الاسم عالقاً بي . وعرفت به.

وعندما نالت الشيخوخة من العجوز اليونانية واصبحت عاجزة عن العمل . زادت الواجبات الملقاة على عاتقي . فاصبحت مسؤولا عن تنظيف ثياب سيدي ودهان حذائه وشراء الحاجيات واعـداد المصابيح وتنظيف الدار وازالة الغبار عن الاثاث وغسيل الصحون وحاجيات البيت . وكنت اقوم بكل عمل من تلك الاعمال بحماسة فقد كان حبي لسيدي يزداد سنة بعد أخرى . وكنت اولي عناية



خاصة لكتبه فاهتم بترتيبها وازالة الغبار عنها .

وعندما قال معلمي لسيدي بريسكوس ان ذاكرتي جيدة وغير عادية ، اراد سيدي أن يختبرني ، فقرأ علي سطرين من الياذة هوميروس ، وطلب مني ان ارددهما بعده ، ففعلت ثم زادها إلى اربعة اسطر ، ستة اسطر ، فكنت ارددها بعد ان ينتهي من تلاوتها مباشرة دون ان اخطئ في كلمة واحدة . ولم أكن انا نفسي أعلم كيف استطيع ان افعل هذا . كنت اشعر فقط ان الكلمات تنطبع في ذهني دون ان ابذل اي جهد . وعندما كنت اركز ذهني على ما اقرأ أو اسمع . كنت احفظه حالا ولا أنساه .

وفي السنة الثالثة اخذ سيدي يشركني في كتاباته فحصلت من ذلك على فوائد كثيرة .

وكنت ارافقه إلى مكتبة القيصر ، حيث كان هناك رجال مثقفون يعملون في نسخ الكتب ، وكانوا يتحدثون معي دائماً في موضوعات الكتب التي كانوا يعملون بنسخها ، وقد تعلمت الكثير من مناقشاتي معهم ، ومنها عرفت ان المماليك ينقسمون إلى قسمين ، بعضهم يصبح حرا بعد ان يخدم مالكه ثمانية اعوام ، والبعض الآخر يظلون مملوكين لأسيادهم إلى الأبد ، ولم استطع ان اعلم إلى اي فئة من هاتين الفئتين انتمي . ولكني على أية حال لم أكن ارغب قط في الانفصال عن سيدي .

وفي غضون تلك السنة ازدادت الروابط وثوقاً بيني وبين سيدي ، فقد اخذ يحبني الآن ، ليس من اجل عملي في خدمته فحسب ، بل لأنه اصبح في وسعه ان يتحدث معي في الفلسفة والتاريخ ، فقد كنت اعرف افلاطون وارسطوطاليس وهيرودوتس وبلوتارخ وسيوتون ، وغيرهم من الفلاسفة والنحويين ، واصبحت ملماً بجميع العلوم تقريباً ، وكان سيدي يسألني دائما ، وهو منصرف إلى الكتابة ، عن الاسماء والمواقع والتواريخ واعداد السنين .

وصرت حجة في السجلات القيصرية ودليلا حيا لمحتويات المكتبة القيصرية ، وقاموسا جغرافيا ودائرة معارف للأسماء .

وفي صباح احد الايام ، كانت دهشتي كبيرة لأن سيدي لم يكلمني ، فقد كان الحديث يتصل بيننا منذ الصباح عندما احلق له ذقنه ، ثم اقدم لـه فطوره ، فيقص على ما رآه في احلامه ، مع اننا كلينا لم نكن نؤمن بالاحلام ، لكننا كنا نجد تسلية في روايتها وتفسيرها .

وفي ذلك الصباح ، وكان يوما من ايام الربيع ، لم ينبس سيدي بكلمة ، وعندما وضعت له الفطور على المائدة ، تساءلت كالعادة :

ــ كيف كانت ليلتك يا سيدي ؟ وبماذا حلمت ؟

ولكن سيدي لم يجبني ، بل كان يحدق في وجهي بين الحين والآخر وقد بدت على سحنته سيماء الحزن العميق .

ورحت اسائل نفسي :

ــ ما الذي حدث يا ترى ؟

ورحت استعرض تصرفاتي مدققاً ، خشية ان يكون قد وقع مني اهمال أو خطأ ، لكنني كنت حريصا على أداء واجباتي على الوجه الأكمل .

واخيرا سمعت صوته وهو يسألني :

ــ كم لدينا من المال يا زيتا ؟

فقلت :

ــ كما قلت لك أمس يا سيدي ، خمسة وسبعون سوليدي وثلاثمائة وثلاثة سيزتيرزه .

وسأل :

ــ وكم يوجد في الكيس الجلدي الأحمر ؟

وأجبت :

ــ ستة وتسعون سوليدي ــ وهو يزيد على قيمة دينار من الذهب .

وكان الكيس الجلدي الأحمر هذا موضوعا في كوة خاصة وضع فوقها تمثال لرأس السيد المسيح نحت من الخشب .

وقد حدثني سيدي مرة عن هذا الكيس ، فقال انه يخص رجلا لم يذكر اسمه ، وانه مدين لذلك الرجل بالمبلغ الموجود في الكيس .

ومع انني كنت اتولى جميع شؤونه المالية ، فانني لم اسأله بعد حديثه ذاك عن الكيس وصاحبه .

وقال سيدي بصوت خافت :

ــ أعطني هذا الكيس ، وضع على ما فيه اربع قطع ذهبية

أخرى حتى يكون المجموع مائة قطعة .

وبعد ان نفذت ما امرنى به . وضعت الكيس امامه على المنضدة . ووقفت مضطربا عند الباب وأنا انظر اليه وهو يتأمل الكيس . ثم وقف وراح يتمشى ذهابا وجيئة في الغرفة .

ورحت اسائل نفسى عن سر هذه النقود وانا اتأمل سيدى . انه لم يعد بدينا كما كان من قبل . ولاحظت ان جبينه قد امتلأ بالتجعدات . شأنه كلما كان مشغول الفكر بأمر من الأمور .

واخيرا . وقف أمامى وظل ينظر إلى برهة ثم قال :

— زينـا .. يا ولـدى ... أتعرف أى يوم من الايـام هـذا ؟

وأجبتـه على الفـور :

— انه يوم السبت الثالث من ابريل (نيسان) . وفي هـذا اليوم أقام سيلويكوس نيكاتور مدينة انتيوجيا . وفي هذا اليوم بدأ اولاد هيرودس الكبير بتسلم سلطانهم . وفي هذا اليوم مات سيدنا المسيح على مرأى من بعض الناس .

فأطرق بريسكوس وقـال :

— هـذا صحيح ..

ثم راح يذرع الغرفة من جديد جيئة وذهاباً ، واخيرا وقف امامى وقال :

— ابحث لى هناك بين الكتب التى ادون فيها يومياتى ، عن الكتاب المتعلق بعام (٤٤٠) ، وانزع الختم الذى عليه ، وافتح الفصل المتعلق باليوم الثالث من ابريل (نيسان) واقرأ على ما فيه .

واستخرجت ذلك المخطوط ، ونفضت عنه الغبار ، ونزعت الختم الذى عليه ، ورحت أقرأ بصوت عال :

— « في الصباح استدعانى القيصر فتشاورنا طويلا حـول معاهدة صلح مارجوس . ولكن ملك الهون لم يتقيد بتلك المعاهدة ، كنا نحن الذين نتقيد بنصوصها فقط . وويل لبلادنا عندما يحول هؤلاء البربر رؤوس خيولهم نحونا .

« بعد الظهر ذهبت إلى ماكسيمينوس فوجدت هناك مملوكا صغيرا كانوا يعاملونه بقسوة شديدة . فأخذته عندى ، واسمه تيوفيـل ... »

لقد تلعثم صوتى وانا اقرأ هذه الفقرات الاخيرة ، والتفت إلى سيدى ، فوجدت الدموع تبلل عينيه وهو يقول :

— لقد كان مثل هذا اليوم منذ ثمانى سنوات ..

ثم نظر إلى مليـاً وقـال :

— انـك حـر ..

وشعرت كأن احدا وجه ضربة إلى صدرى .. ولكنها كانت ضربة رحيمة من يدى ملاك .

ورحت أنظر إلى سيدى مشدوها دون أن أدرى هل أنا في حلم أم في يقظـة .

ولكن بريسكوس أمسك بالكيس الجلدى الاحمر وقال :

— خـذ .. لقد ادخرت هذا المال لك . ومن هذا اليوم تستطيع ان تضع على رأسك قبعة ، وان تتزوج ، وان تكـون سيدا لنفسك . وان تلتحق بخدمة الجيش . ولك منذ الآن ان تبدأ بالتحية كما تشاء .

وامتلأت عيناى بالدموع وأنا أقول :

— آه .. ياسيدى الطيـب .

وتلعثمت في حديثى . ثم تقدمت منه . وجثوت امامه على ركبتى وأنا أقول :

— لا تبعدنى عنك ولا تعطنى نقودا . دعنا نعيش معـاً كما كنـا دائمـاً .

فقال العجوز بتأثر وهو ينهضنى :

— قـف ... لا بأس ..

كان يريد أن يقول شيئا جميلا .. لقد قرأت ذلك في عينيه وملامحه . وفي ارتعاشات شفتيه ، ولكنه ابتسم واخذ يطرف بجفونه ويهز رأسه وهو يقول :

— هل انت مجنون إلى هـذا الحد ؟

فأجبته وقد امتلأت عيناى بالدموع :

— انى اشكرك اذ حررتنى وانقذتنى من عديمى الانسانية ، واشكرك لانك ايقظت في نفسى النبوغ . انك لم تستخدم في تربيتى السياط كما يفعل الاخرون . لقد ربيتنى بقلب محب . وجعلتنى أسير مزهوّا بأجمل الثياب . وجعلتنى أجلس معك إلى مائدتك . انك انت الذى علمتنى ان الانسان يستطيع ان يمتلك الانسان بقلبه فقط ..

وهـز بريسكوس رأسه وهو يقول :

— حسـناً ... حسـنا يا بنى ..

ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة رحيمة وسألنى :

— أتصحبنى إلى البربر ؟

فقلت وقد افزعنى هـذا :

— .... إلى البربر ؟

فقال وقد بدت عليه سيماء الحزن :

— إلى أتيـلا .. ملك البربر .. نعم .. اليه .. فلتختطفـه النسور .. في الايام القليلة القادمة علينا ان نحطم بالقوة ..

ثم جلس ينظر أمامه غارقا في تأملاته .

ورحت اسائل نفسى كأنى في حلم لا يمكن تصديقه :

— إلى اتيـلا ؟

انى اعلم ان القيصر يبعث بسيدى إلى كل مكان . كلما احتاج إلى فطنته ودرايته . ولكن كيف يبعث به إلى هـؤلاء المتوحشين ؟

وعادت إلى ذاكرتى صور مبعوثى الهون الذين جاءوا إلى القيصر ثيودوسيوس منذ فترة قصيرة . كانوا سمر الالوان ، بشعى الخلقة . يضعون على رؤوسهم قلانس طويلة . وعلى ظهورهم جلود النمور والسباع . بوجوه بشعة تشمئز منها النفوس كأنما

داعبتها مخالب النمور وعبثت بها . ولكن عقود الذهب الكثيرة كانت تتدلى على صدورهم ولها صليل ولمعان يأخذ بالابصار . لقد كانوا خمسة .

وبدأ رسل القيصر يجيئون في كل ساعة يطلبون سيدي للحضور إلى القصر ، أو يأتينا احدهم راكضا يلهث . ووصل إلى البيت كريسابيوس مدير القصر وماكسيمينوس . مستشار القيصر ومنيجيلاس المترجم ، لقد كان بيتنا يبدو في بعض الاحيان وكأنه مستشفى للمجاذيب ، وكان هذا الوصف أكثر انطباقاً بالنسبة لقصر القيصر . فهناك كان السادة الكبار ينتشرون في مجموعات ويتشاورون فيما بينهم وقد بدت في عيونهم علائم الخوف . ثم اضاءت وجوههم سيماء الدهاء ، لقد جاء رسل الهون ، يحملون إلى القيصر رسالة من اتيلا يطالب فيها بتسليم جنوده الهاربين إلى صفوف الاعداء الذين يعيشون في المملكة الرومانية ، وبوجوب امتناع شعب القيصر عن زراعة مناطق الارياف الواقعة على نهر استر بدعوى ان تلك المناطق من املاكه واشار في رسالته إلى انه استولى على تلك الاراضي فاتحا بقوة السلاح ، وهو يعلم كيف يستطيع حمايتها بقوة السلاح ايضا . واخيرا فهو يرغب في ان لا تقام الاسواق مستقبلا في مدينة ايلبيرين على ضفاف نهر استر . بل يجب أن تقام في مكان حدده ، يقع على حدود المملكتين على مسيرة خمسة أيام جنوبي ايلبيرين .

وعندما تقدم رسل الهون وسلموا هذه الرسالة إلى القيصر ، كنت أقف وراء سيدي بين الحاضرين ورأيت كيف امتقعت الوجوه من الرعب حين كان المترجم فيجيلاس يتلو الرسالة فقرة بعد أخرى ، ورأيت القيصر يتنفس الصعداء عندما أخذ المترجم اخيرا يتلو الفقرة التي يعلن فيها اتيلا عن اطيب تمنيات الصحة والعافية للقيصر .. ومع ان الذين يستطيعون ادراك المعاني التي تختفي وراء الكلمات قد لمسوا ما تنطوي عليه تلك التمنيات من السخرية وسوء النية ، الا أن الذي كان يهمهم هو أن اتيلا لن يتوجه بجيوله اليهم .

ورفع القيصر رأسه ، وكان يبدو عليه التسليم بالأمر الواقع ، وسأل مبعوثي الهون الذين يبدو في نظراتهم التحدي والغضب .

— هل من رسالة أخرى من مقامه العالي ؟

وهنا انتصب ديكون رئيس المبعوثين رافعا رأسه بشموخ ، بكتفيه العريضتين وشاربه الجميل ، وقال بكبرياء :

— ان اتيلا يريد ان لا يكون مبعوثوك اليه من الاشخاص العاديين ، بل يجب ان يكونوا على الاقل من اعضاء مجلس الشيوخ أو القناصل ومن في مثل درجتهم .

كان هذا الهوني ديكون يتكلم كأنه القيصر تيودوسيوس ، ومع هذا فقد هز القيصر رأسه باسما مترددا ، وأمر باستضافة المبعوثين وتكريمهم حتى يتم اعداد الرد على رسالة ملك الهون .

واستغرق العمل في اعداد الرد على تلك الرسالة اياما طويلة ، ووقع العبء كله على سيدي الطيب ، حتى ان الشعرات السود القليلة في رأسه تحولت إلى البياض ، ورأيت اية كلمات وضعها على الورق ، فقد كنت أنا الذي اتولى كتابتها ، ولو ان حروفها استطاعت الحركة . لانحنت جاثية على ركبها أمام عيون اتيلا . لقد كان شيئا مخجلا مهينا ، فالقيصر يرجو من اتيلا ان لا يأذن لشعبه العظيم بالاندفاع إلى اراضي المملكة الرومانية ، وهو يرجوه ان يبعث بقادته إلى القسطنطينية ليقوموا باجراء المفاوضات النهائية للاتفاق على نصوص المعاهدة السلمية بين الطرفين .

مرت هذه الخواطر في ذهني وأنا أسأل سيدي :

— مع من ستسافر يا سيدي ؟ ومن الذي اختاره القيصر لمرافقتك ؟ هل هو كريسابيوس ؟

وهز بريسكوس رأسه نفياً وقال :

— كلا .. بل سيصحبني ماكسيمينوس .. وهو أهل لهذه المهمة .. انه سيدي الأول .

وقلت من صميم قلبي باخلاص :

— انني سوف اصحبك يا سيدي إلى اى مكان تذهب اليه ، وربما لم يكن الهون من السوء بالدرجة التي يصورونهم بها هنا .

فقال سيدي :

— فكر يا زيتا جيداً ، انك حر ، ولو انك اخترت البقاء هنا فليس لي عليك أية سلطة .. فكر ملياً ..

فأجبته على الفور :

— لقد فكرت بما فيه الكفاية .

فقال بريسكوس :

— ان هؤلاء الناس يشربون الدماء ، دماء الانسان ، ففي المذابح التي يرتكبونها ، يشقون صدور الجرحى ، وبأسنانهم الحادة ، يقطعون قلوب ضحاياهم وهي ما تزال حارة تنبض بالحياة .

أحسست وأنا استمع اليه ان لوني قد امتقع . كان جسمي يقشعر من الدم ، من مجرد ذكره ولو في كلام عابر . ولكنني احببت سيدي بعمق ، وقررت ان اذهب معه حتى ولو امرني بالبقاء هنا .

وقلت له : انني ساصحبك يا سيدي ، حتى لو ذهبت إلى نهاية العالم .

فأجابني بريسكوس باسما : حسنا .. جهز اذاً كل ما ترى اننا نحتاج لأن نأخذه معنا في رحلتنا . وستقوم المرأة العجوز باخراج اصص الورود من غرفتي ، حتى نقفل هذه الغرفة .

ثم مد لي يده ببعض المال وهو يقول : هذه عشر قطع ذهبية لتشترى بها ما نحتاجه ، بعض التوابل التي يبيعها التجار المصريون هنا ، وبعض جلود التماسيح وجلود حمراء اللون ، وأقراط وخواتم نحاسية ، وكل ما ترى أنه مرغوب لدى هؤلاء البرابرة .

وأطرق قليلا ثم قال :

— ولكن ... هل تريد أن تأتي معي حقيقة ؟

وأجبته على الفور :

— من كل قلبي يا سيدي .. اذا امكن ان يتركك ظلك .. فاني سأتركك ..



جانب من المصنع الاوتوماتيكي للاعلانات « الفاكوم » لشطف الاعلانات البلاستيكية



سعادة وزير الصناعة والتجارة الشيخ عبدالله الجابر لدى زيارته لجناح اعلانات حيدر

الصناعة في الكويت

نعترف بكل فخر واعتزاز بالنهضة الصناعية الجبارة التي توصلت اليها دولة الكويت الفتيةلدى افتتاح المعرض الصناعي الاول بالكويت في شهر اذار – مارس ١٩٦٦ ، وقد ظهرت نماذج رائعة من الانتاج الصناعي في جميع المجالات ، وكل من زار هذا المعرض ، لفت نظره الجناح الذي اقامه الرسام والفنان السيد فؤاد جميل حيدر لانتاجه الرائع للاعلانات البلاستيكية المضاءة ذات الاحرف والرسوم البارزة ، بالاضافة الى الطباعة الملونة على الصفائح الحديدية والخشبية والزجاج والاقمشة ٠٠ الخ وقد رصدتمؤسسة اعلانات حيدر المبالغ الكبيرة لانشاء احدث مصنعوالاول من نوعه في الشرق الاوسط خاص لكافة اشغال البلاستيك ومن ضمنها الاعلانات البلاستيكية البارزة والمضاءة ،وانهذا المصنع يعمل اوتوماتيكيا

ى الفاكيوم) وقد لفت ذلكانتباه معالي الشيخ عبدالله ابابر الصباح – وزير التجارةوالصناعة في الكويت – لدى افتتاحه المعرض الصناعي ،وقد ابدى لمرافقيه تقديره واعجابه لما يضم هذا الجناح منالفن والذوق السليم والجهد المبذول لابراز الاعلان المثالي ٠

ان اعلانات حيدر اليوم تضاهي بجودتها واتقانها اي انتاج خارجي ، ونشاط هذهالمؤسسة يمتد الى البحرين وقطر ودبي ومعظم بلدان الخليجالعربي ، حيث تزود هذه البلدان بالاعلانات البلاستيكية المضاءة والطباعة الملونة (بالسلكسكرين) ومنذ عام ١٩٥٥ الى وقتنا الحاضر فان اعلانات حيدر هم الوكلاء الوحيدون لاعلاناتشركة المرطبات التجارية (الكوكا كولا) في الكويت بالاضافة الى مناطقالخليج العربي٠

المكتب والمصنع – الشويخ قرب كوكاكولا هاتف ٤٣/٨٧٢٢

مكتب الفرع الثاني : شارع فهد السالم – عمارة الصالحية هاتف ٢٣٤٣٦



الوجودية وصراع

رياض بولص يعقوب

منذ الحرب العالمية الاولى وخلالها حظيت الفلسفة الوجودية باهتمام قوي من قبل الشباب ، خصوصاً شباب فرنسا ، وكانت موضوعاً خصباً لعدة مقالات صحفية في جميع انحاء العالم ، وهذامايدفعنا لدراسة الموضوع والاهتمام به لنرى اذا كانت الفلسفة الوجودية ستحافظ على تأثيرها على « الفكر العشريني » (الفكر في القرن العشرين) . ولكي نكتشف اي رسالة — ان وجدت — تقوم الوجودية بتأديتها الى الانسانية ، توءخذ كنقطة بدء الاصطلاح « وجودية » ماذا يعني . ان الكلمة مشتقة من الاسم « وجود » والنسبة « وجودي » . ان الوجودية تريد التأكيد على أهمية اهداف الشخص في الحياة « والقيم » التي يكتشفها لنفسه خلال هذه الحياة . وبكلمات أخرى هي توءكد اسبقية وأولية وجوده . اسبقية ، ولكن على من ؟ الجواب هو أسبقية على جوهره .

ان الانتولوجيا (علم الكائنات) تميز بوضوح بين مبدأين ميتافيزيقيين مختلفين يدعوهما الوجودي الوجود والجوهر . ان جوهر الانسان هو ماهيته . وبمعنى آخر هو نظام او كائن حي بمميزات انسانية معينة ، فعندما نتكلم عن جوهر شكل معين ، فنحن نرجع الى المزايا التي يتشارك بها هذا الشكل مع كل الاشكال التي هي من نفس النوع . وهذه الاشكال مجتمعة تعطي مزاياها الكونية العامة . فعندما نتحدث عن المزايا العامة للانسان فنحن نرجع الى المزايا التي تتشارك بها الانسانية كلها . وبالاضافة الى هذه المزايا العامة ، فالانسان يملك صفات أخرى معينة نستطيع بواسطتها ان نميزه عن غيره من الناس . ولكن كما اشار بول فونتغور في كتابه الصغير عن الوجودية ، فالجوهر في نظره لا يحتاج الى التأكيد بأن مثل هذه الأشياء هي حقيقية ، وبمعنى آخر ، انها موجودة ، فالوجود بالحقيقة هو « تحقيق الجوهر » . واستعمالنا للغة يبين هذا الفارق بين هذين المبدأين الميتافيزيقيين للأشياء . فعندما أقول « أنا رجل » أوءكد الوجود ، وجودي أنا . و « رجل » تدل على الجوهر . وهذا الفرق واضح ومميز في جميع الكائنات الا الله ففيه لا يمكن تمييز الوجود من الجوهر .

ان المشكلة التي يحاول الوجودي ان يحلها ، أو هو يحلها بطريقة معينة هي عندما يتساءل الانسان عن أي من المبدأين له الاولية والاسبقية الوجود أم الجوهر ؟ ولغاية القرن التاسع عشر لم يشك الفلاسفة في اولية الجوهر . وهذا ما يدعونا لتسميتهم بالفلاسفة الجوهريين وما يميز الوجودي عن الجوهري هو ان الاول يعطي الاسبقية للوجود دائماً .

ان دراسة مميزات الجانب الآخر من المدرسة الفلسفية سوف تساعدنا كثيراً في فهم الوجودية . المدرسة التي تعطي الاولية للجوهر . ويمكن اعتبار افلاطون واحداً من اكبر أعمدة « الفلسفة الجوهرية » . ويبدأ افلاطون بوضع خط فاصل بين عالمين عالم مكشوف لنا بواسطة حواسنا الخاصة ، وعالم آخر يوضحه لنا ادراكنا العقلي (الى الحد الذي ذهب اليه افلاطون بكلمتي « ادراك عقلي ») ويمكن تسمية العالم الاول بالعالم الحسي ، والعالم الثاني بالعالم الادراكي اوعالم الافكار .

ان الناس غير المثقفين ، والمدركين يعرفون الوجود من خلال العالم الاول فقط ، الذي يكشف لهم اشخاصاً مشابهين لهم ، وعدداً كبيرا من البيوت والحيول والاشياء الأخرى . وعن العالم الاعلى ، عالم الافكار فهم لا يعرفون عنه شيئاً . وقد دعا افلاطون الاشياء التي تكون العالم العقلاني الاعلى بـ « افكار »

الجوهر والوجود

اعداد : قلم التحرير

واعتبرهـا كنموذج لكل شيء في العالم الحسي الواطيء . ولكن هذه « النسخ » للنماذج المثالية . الموجودة في العالم الحسي هي اشياء فقيرة سريعة الزوال وهي تموت اثناء عملية التكوين فكل ما تستطيع هذه الاشيـاء الزائلة عمله هو تحقيق انعكاسات باهتة للافكار الموجودة في العالم الادراكي .

ومثالا على هذا نقول : بما ان الانسان يملك بعض خصائص الطيبة . فهو لا يمكن بأي حـال من الاحوال ان يكون مثـال الطيبة أو ممثلهـا .

ولكي يوضح لنا أفلاطون مدى عدم تكامل ووهمية العالم الحسي يأتي بمثل الكهف . فهو يطلب منا ان نتصور كهفاً عميقاً . قد وضع فيه بضعة سجناء . ربطوا الى جدار الكهف الصخري . فظهورهم مواجهة لباب الكهف وتعكس أشعة الشمس على جدار الكهف اشباح الاشياء او الناس الذين يمرون من باب الكهف فالسجنـاء الذين لا يستطيعون رؤية سوى هذه الظلال المعكوسة يظنونها حقيقية . ولكن اذا تحرر واحد من هؤلاء السجناء وخرج من الكهف الى العالم الخارجي الحقيقي . فسوف يؤخذ بقوة النور فلا يستطيع الا رؤية شيء قليل او لا شيء مطلقاً . ولكنه يدرك بعد وقت طويل من التعود على العالم الجديد انه يرى اشياء حقيقية . وان ما كان يراه سابقاً ليس سوى ظلال لهذه الحقائق.

هذه هي الصورة التي يعطينا اياها افلاطون عن العلاقة بين العالم العقلي والعالم الحسي . واستناداً الى كلامه . فان في عالم الجوهر وحده نستطيع ان نحصل على فرصة للمعرفة . وعليه فيجب ان تعطى الاولـيـة للجوهر مع الوجود . وهذا عكس ما يعتقده الوجوديون.

وقد أكد القديس اوغسطين على الجوهر بانه « الكلمة » او العقل الالهي . وبالنسبة للقديس أوغسطين كانت « الكلمة » هي مصدر كل معرفة . فقـد كانت « النور الحقيقي الذي يضيء كل انسان يدخل هـذا العالم » .. وحتى عصر النهضة جعل الدين من الجوهر ملكاً على العلم والفلسفة . وتبع ذلك اعطاء كل الفلاسفة الاسبقية للجوهر ، واظهروا اهتماماً ضئيلا في البحث التجريبي للوجود .

وخلال عصر النهضة فقط . استطاع الفلاسفة ان يخلصوا انفسهم من قيود الروحانيات . وقد ساعدهم في هذا التحرر كل من ديكارت وفرانسيس باكون وشجعاهم على المضي في اتجاهات جديدة . ولكن هذا لا يعني ان طرق تفكيرهم قد تغيرت . فقد اظهر العلماء اهتماماً ضئيـلا بالفردية . وكان همهم الحصول على قوانين عامة علمية . وخلال عملهم لتحقيق هـذا ، ظلت الفردية شيئاً عديم الاهمية تقريباً بالنسبـة لهم .

ويعتقد ان الحركة الوجودية قد جاءت كرد فعل لشكل عنيد ، جاف من المذهب العقلي . وان هذا قد أدى الى ادراك فجائي لعدة مآزق وقعت فيها الانسانية بسبب تحويل الاخلاق لاشياء دنيوية . ففي نهاية القرن التاسع عشر . هجر الفرنسيون فجأة تعليم الاخلاق المبنية على الله . وهذا قد أبعـد نهائياً ما تبقى من الجوهريـة الروحانية ، لان الفرنسيين الذين تعهدوا الاخلاق الدنيوية كانوا يؤمنون بقوة . بانه يمكن الحفاظ على الاخلاق العامة بانكار الله انكاراً تاماً . وبهذه الطريقة كونوا في فرنسا فلسفة جوهرية ولكن باسس جديدة . وقد تصورت هذه الفلسفة الجديدة نوعاً انسانياً جديداً على الكل اعتباره نموذجا مثاليا وعليهم الكفاح من اجـل تطبيقه . وقد قيل ان الوجودية اليوم قد جاءت نتيجة للانكار اللاحق في فرنسا لهذا النوع الجديد من الانسان .

ان معظم الوجوديين يفضلون

التعبير عن فلسفتهم والتدليل عليها بصورة غير مباشرة في قصص ومسرحيات وليس في نصوص فلسفية جافة . وقد أظهر هذا التفضيل سورين كير كجارد الذي يعتبر الآن المؤسس الحقيقي للحركة الوجودية . ويعتبر كل من جان بول سارتر وسيمون دو بوفوار من اسس الفلسفة الوجودية الحديثة ولكنهما اقل حقيقة من مارتن هيدجر .

ولكن ما هي الوجودية ؟

مبدئياً : هي تمثل الغاء سياسة الجوهرية . التي كان الفرنسيون قد اعتنقوها بتأثير من اصحاب مذهب الاخلاق الدنيوية .

اننا بطبيعة ممارساتنا العقلية والعلمية ميالون الى ملاحظة كل ما هو عمومي في الناس . فاشلين في ان ندرك خصائصهم الشخصية والفردية . ونواجههم ونحن متسلحون بعدد من مختلف المرتبات النفسية آملين ان نستطيع تصنيفهم في واحد او اثنين من هذه الاقسام. ونحن ميالون لمعاملة انفسنا بهذه الطريقة نفسها . ولكن عوضاً عن ملاحظة ومراقبة حياتنا الداخلية . وهي تسير بصورة فريدة وذاتية في كل واحد منا . فنحن نوقف هذا السير بوضع كل ما رأيناه تحت مستواه الحقيقي .

وقد تحرك الوجودي من هذه الناحية الادراكية لحياتنا الداخلية فهو يحاول ان يراقب سير وجوده الشخصي . ويمنع عقله من التعرض لهذا السير بمحاولته تحليله .

ويعطينا جان بول سارتر مثالا شخصياً لما تحاول الوجودية ان تفعله . فهو يصف واحدة من هذه الملاحظات التي يصبح فيها الفرد واعيا لوجوده الشخصي وهو يضع كلماته في فم « روكانتان » . بطل قصة « الغثيان » . عندما كان جالساً في حديقة عامة يراقب شجرة ولا أرى داعياً الآن ان اسطر مقطعاً من هذا الكتاب . لان معظم المطالعين قد قرأوه ويستطيعون الرجوع اليه .

اننا ننام لنجرب اسرار وجودنا . ننظر حوالينا نتساءل عما يعني هذا كله . ومرة أخرى وبدون شعور نتزلق في النوم من جديد . وفي الوقت الباقي فنحن متعلقون بافكارنا وشعورنا وحركاتنا واحلامنا الى الحد الذي نفقد فيه كل شعور بوجودنا الشخصي .

ومثل كل العلوم النفسية والفلسفية ، فللوجودية رطاناتها واذا اردنا ان نتفهمها علينا ان نعرف شيئاً عن المعاني التي تلحقها بكلماتها فمثلا ماذا يعني الوجودي بكلمة « الوجود » ؟

يجيب بول فوتتفور على هذا السؤال بقوله ان الوجود هو ليس حالة ما وانما عمل ، انه التحول من الاحتمالية الى الحقيقة ، وهو يقول ان الانسان اذا اراد ان يوجد فعليه ان يختار ماذا يجب ان يكون . وعلى هذا الاختيار ان يتكرر مرات عديدة في حياتنا لان الوجود يجب ان يكون « سمواً دائماً » . فنحن نوجد فقط في التقدم نحو مرحلة من الوجود نراها بواسطة اختيار حر ، وبما ان جوهرنا يقرر ماهيتنا فما نختاره نحن هو جوهرنا عندما نقرر ماذا نريد ان نكون .

ويعطي الوجودي الانسان نطاقاً معيناً للاختيار . وهو يعترف بان نطاق الاختيار هذا محدود . فما سنكون عليه يعتمد بصورة كبيرة على «الكروموسومات» (وحدات وراثية) التي تنقل الينا حضارتنا الوراثية . وطريقة اختيارنا هي ان تتعهد سلوكا خاصا دون غيره وان نحاول ان نعيش افكارنا الخاصة .

والحقيقة . فان من الصعب الاختيار . لانه تنقصنا المعرفة الكاملة التي يجب ان نعتمد عليها في اختيارنا . وبعكس الجوهري فالوجودي لا يملك مثالا ثابتا . وهو لا يعترف حتى بمعيار ثابت للانسان . فعلى كل واحد منا ان يعتبر نفسه ويقيسها . فما عليه ان يكونه لا يوجد مكتوبا في مكان ما . وانما عليه ان يجده .

وبدون شك يستطيع الانسان ان يستشير او يسلم زمام حياته لشخص يثق به .. ولكن اختيار هذا الشخص الذي وثق به قد لا يقل صعوبة . لانه انسان ايضاً .

وفي هذه المرحلة من الاختيار يتضح الالم او المعاناة اللذان يؤكد عليهما سارتر في معظم كتاباته . فالوجودي وقد رفض كل فكرة عن عالم مثالي ، مثل عالم الافكار لافلاطون ، قد وضع نفسه في مركز حرج ، لأن عليه الاختيار بدون ان يملك اية مبادئ يبنى عليها اختياره ، وهو لا يملك أى شئ ايضاً ، لكي يقرر فيما بعد ان كان اختياره جيداً أم لا ، وهذه هي قاعدة الالم الوجودي . الذي ليس هو في كثير من الاحوال الخطر الاكبر بقدر ما هو العاطفة القوية النابعة من شعور الشخص بانه قد وضع في مكان دون ان يرغب فيه ، وباجباره على القيام باختيارات لا يستطيع ان يعرف ماذا سيلحقها ، وعليه فلا يمكنه الحكم عليها .

ان هذا الاختيار غامض وأعمى ، ولما كان هو الذى يقرر الاتجاه الذى سيسير عليه لذا فاننا نرى ان الفلسفات التى اختارها وجوديون مختلفون ، تختلف كثيرا ايضاً ، فهناك أنواع عديدة من الوجودية ، هناك الوجودية العدمية الملحدة لسارتر ، والوجودية البروتستانتية لكير كجارد ، والوجودية الكاثوليكية لجبرائيل مارسيل ، وتلك الفلسفة الغربية المختلطة للويس لافيل والتى يدعوها «الفلسفة الوجودية الجوهرية .

ومع هذا الاختلاف فالوجودية تطلب شيئاً واحداً ، وهو ان اختيار الوجودى يجب أن يكون مخلصاً ، وانه لشئ معترف به ان عمل الاختيار هذا ، يشكل الخطر الأساسى في الوجودية ، وواضح هو الاضطراب الفكرى الذى غالبا ما نجده في الفلسفة التى اختارها الوجودى الفردى ، وخير مثال على هذا الفلسفة الوجودية الملحدة لسارتر ، ففلسفة سارتر ترعرعت خلال الحرب العالمية الثانية وابان احتلال الالمان لفرنسا ، ان اشكال الفلسفة الوجوديةالسارترية هى نتاج من نتاج الازمة ، وهي تذكرنا بفلسفة انعدام المعنى التى عرفت بعد الحرب العالمية الأولى ، فالكثير قد دفعوا غالبا لكي يلعبوا دورا في تلك الحرب ، وكانوا من الرومانتيكية بحيث اعتبروا اعمالهم هذه نوعا من الجهاد . لقد اعتبروها حرباً «لانهاء كل الحروب» وحربا « لانقاذ الديموقراطية » ، وكان هذا هو سبب ما قاساه الغرب من رعب وضحايا كثيرين ، إذ كان الجميع يعتقدون انهم يعملون شيئا نبيلا وانهم مجاهدون .

وفي معاهدة فرساى . كانت الحيل السياسية القديمة تلعب

دورها . ولكن على نطاق اوسع من قبل . وهكذا فشلت الحرب التي ارادت القضاء على جنون الحرب . وقد اصبح جيل تلك الحرب وما بعده ، بعد ان قاسى من هذه المخادعات ، جيلا لايؤمن بصلاح البشر ، فتبنى الفلسفة الفقيرة ذات المعنى المعدوم ، فلم يكن هناك اى معنى . وقد كان رجال ذلك الجيل اغبياء اذ ظنوا بوجود معنى .

وبروح هذه المرارة نفسها ، تبنى المفكرون الشباب والفنانون فلسفة سارتر الوجودية . فكانوا يجلسون في مقهى سان جرمان يضحكون ويشربون ويفرحون . كانت هذه فلسفتهم . ولكن لوقت محدود . فقد اهمل بعض اتباع سارتر انفسهم . ولكن ليس سارتر نفسه .

لقد قبل سارتر واتباعه رسالة نيتشه القائلة بأن الله ميت . في السابق اتصلت الالهة بالانسان . أما الآن فالصمت سائد . وقد حدث هذا لكي ينسى الانسان الله . ولكي يستفيد من حريته ومن قابلية الخلق عنده . وسارتر يؤكد لأتباعه انه لا يوجد كون غير الكون الانساني للذاتية الانسانية . ولذا فعلى الانسان ان يخلق قيمه بنفسه .

ان الاقبال الشديد على الفلسفة الوجودية هو نتاج خاص للتشاؤم الذى تسببه حرب عالمية وسلام بارد . وعندما نهتم بقيمة كل من الفارق النظرى بين الجوهرية والوجودية وإلى الالم المتسبب من الاختيار الشخصي الذى تصر عليه الوجودية . فانا اعتقد ان التاريخ سيرينا ميلا نحو التشاؤمية والتفاؤلية

كلمات باسمة

دخلت سيدة عجوز احدى الصيدليات وسألت الصيدلي :

– هل لديك شيء للشعر الابيض؟

فأجابها :

– أجل يا سيدتي : عميق الاحترام !!

أتصلت امرأة تؤمن بالشعوذة وعملية استحضار الارواح . بروح زوجها الراحل ، فسألته : هل أنت مسرور حيث أنت ؟

– اكثر مما كنت مسرورا في الدنيا . وبقربك .

– حسنا اذن . ارجو ان التقي بك في الجنة .

– ولكني لست في الجنة

. . . .

في احدى الحفلات ، اضطر الروائي المسرحي الاميركي جورج س. كوفمان للاصغاء الى شخص مزعج كان يروي قصة تبدو ان لا نهاية لها . وفجأة توقف الراوي عن السرد وقال :

– المعذرة ، يبدو انني استبقت الحوادث !

فوضع كوفمان يده على ذراع الراوي مستعطفاً :

– ارجوك لا تعد الى الوراء.



. . . .

دخل اينشتاين احد المطاعم وجلس الى المائدة لتناول غذائه ودس يده في جيب سترته ليتناول نظارتيه . فلم يجد لهما أي اثر . فحار في امره ، وهو لا يستطيع تمييز ما تحتوي عليه لائحة الطعام من أصناف بلا نظارتين . فنادى الخادم وطلب اليه ان يقرأ له ما كتب في اللائحة ، فما كان من الخادم الا ان قال وهو يهز رأسه : المعذرة يا سيدي ، فأنا امي مثلك

دعت احدى سيدات المجتمع الموسيقي فيردى يوما واسمعته عزف ابنتها على البيانو . وكانت معجبة بها . فلما انهت الفتاة العزف سارعت الأم الى معرفة رأي صاحب « عايدة » في ما سمع فقال لها : يبدو لي . يا سيدتي . انك قد انشأت ابنتك تنشئة دينية بحتة ، فان يدها اليسرى لا تدري ما تفعله يدها اليمنى .

الخليج العربي



تأليف: قدري قلعجي

بقلم: راضي صدوق

الأستاذ قدرى قلعجي كاتب هادى ، يعيش لفنه بصفاء واخلاص بعد ان تزود ، من غدرات الايام وتقلبات الزمان ، بذخيرة وافرة حية من التجارب ، في عالم الحياة وآفاق الكلمة ، ودنيا الناس ، ولقد زاده كل ذلك ، صفاء واخلاصا لرسالته ، وانتهى إلى الابتعاد ، راغبا ودونما قسر أو جبر ، عن الضجيج الادبى العام ، الذى يعكر حياتنا الادبية والفكرية ، في هذه الفترة المختنقة ، باخلاط من التيارات المتضاربة التى يضيع في زحمتها الاصيل ، مع الهجين الدخيل .

ومن هذا المناخ النفسى الهادئ المطمئن ، يتحفنا الاستاذ قدرى قلعجى ، بين حين وآخر ، بكتاب قيم يهديه للمكتبة العربية ، جديدا في سمته وملامحه ، جديدا في موضوعه ، وضروريا .

وآخر كتاب نزل إلى الاسواق من تأليف القلعجى ، كتاب « الخليج العربى » ذلكم السفر الضخم الذى يعرض أخطر مشكلة عربية مقبلة ، في الايام القريبة ، على العالم العربى ، بعد فراغ الاستعمار من بعض معاركه معنا ، في أجزاء اخرى من وطننا الكبير ..

وتأتى أهمية الكتاب ، علميا وقوميا ، من اهمية المنطقة التى يتحدث عنها ، في عالم الاستراتيجية السياسية العربية الراهنة ..

فمن الوجهة العلمية ، لا تزال منطقة الخليج العربى ، مجالا بكرا للدارسين والكاتبين ، تاريخا وسياسة وجغرافية .. وقل ان وجد من كتب عن هذه المنطقة بشمول وعمق معتمدا على التطور والتسلسل التاريخيين لهذه المنطقة الخطيرة .. بل ان الكثرة الكاثرة من الكتب التى خرجت في هذا الموضوع ، تعتبر ضارة للقضية القومية في تلك المنطقة .. ذلك انها ، في غالبيتها العظمى ، لا تعتمد الروح العلمية الموضوعية في الكتابة والدرس .. بل هي موضوعة اصلا بدافع من رغبة مادية متكسبة ، وهى ، لذلك ، أقرب إلى الرياء والمجاملة منها إلى روح الاخلاص للعلم والفكر والتاريخ ...

ومن الوجهة القومية ، فان منطقة الخليج العربى ، ومن بعدها منطقة الجنوب العربى ، هى الميدان المقبل لفصل حاسم جديد من فصول معركتنا الطويلة مع الاستعمار العادى الباغى الذى ما فتئ يدرس ويخطط ، لتأخير عجلة الركب العربى ، عن بلوغ اهدافه وأمانيه ، ولعله من المعروف ان استراتيجية المعارك ، الحربية والسياسية وحتى الاجتماعية ، تقتضى ، بل تشترط أولا ، على اصحاب أية قضية ، ان يدرسوا ، قبل كل شئ طبيعة وطبوغرافية الارض التى ستنشب عليها المعركة .. لوضع جميع الاعتبارات والظروف الكائنة والمنتظرة في حسابهم ، سلبا وايجابا .. وليس من شك في ان الرأى العام العربى ، وحتى النخبة المثقفة منه ، لا يملك فكرة واضحة عن منطقة الخليج العربى ، على سائر المستويات : تاريخا وجغرافية وسياسة واجتماعا .. بل ان الغالبية الكبرى من أبناء هذه المنطقة

انفسهم يجهلون حقيقة أوضاعهم وتاريخ بلادهم ، وأهميتها في عالم السياسة المعاصرة ، جهلا مطبقا ، يشكل خطرا كبيرا على امكانيات نجاحنا في معركتنا المقبلة ، مع قوى الاستعمار على أرض الخليج العربي .

ولقد جاء كتاب الاستاذ قدرى قلعجى عن « الخليج العربى » سفرا نادرا ، يجمع الشمول والدقة في البحث إلى الاسلوب الهادئ الرصين الذى يسلسل الاحداث ، بروحية العربي المخلص واسلوب الاديب المبدع الذواق .. تسعفه في ذلك ، معلومات وافرة استطاع ان يرصدها ، ويعيش جانباً منها بنفسه ، خلال وجوده في الكويت ، ردحا من الزمن ، استطاع خلالها ان يدرس ويمحص ويقارن ، ويطل بالتالى من الكويت على سائر آفاق امارات الخليج العربي المجاورة ..

والكتاب يتعقب الموضوع من البداية ، فيقرر باسلوب علمي اولا أن الخليج عربي وليس فارسيا كما يروج ذلك المستعمرون وبعض « مجنديهم » من المؤرخين والمستشرقين الاجانب ، ثم يعرض بسرعة لماحة لجغرافية المنطقة والملاحة والحركات البحرية في الخليج ، توطئة للدخول بالقارئ ، دخولا بينا والقا ، في مهب احداث العالم القديم ودور الخليج في سائر العصور الاسلامية المتعاقبة ، مع تفصيل مسهب عن الدويلات التى قامت في بعض أجزاء تلك المنطقة ، على التعاقب ، وبعد ذلك ينتقل إلى دوامة الاستعمار العالمى وضياع الخليج العربي ، في منجنونها .. حتى اذا شارف على القرن العشرين ، اطل على جماع المشكلات المعقدة التى ورثتها منطقة الخليج العربى ، على كر الاجيال ، وبسبب من سلسلة المؤامرات والمخططات الاجنبية الهادفة إلى استعمار خيراتنا وكرامتنا .. ثم يتحدث عن بواكير النهضة المعاصرة المتفتحة في بعض مناطق الخليج .. وهنا ، يشاء الاستاذ قدرى قلعجي ان يتحدث بكثير من الرفق والتشجيع ، بأسلوب رقيق غير ناقد ولا كاشف ، وهو أمر لا يمكن الا ان يكون كذلك ، من رجل تعود ان يغفر الزلة طامحا إلى الاصلاح والبناء ..

وفي رأينا ان جامعة الدول العربية اولا ، وامارات الخليج العربي ثانيا ، والدول العربية ثالثا ، مطالبة كلها بتشجيع هذا الكتاب ، وتعميم نشره في الاوساط القارئة ، وعلى الخصوص في الجامعات والمعاهد ، لبناء فكرة واضحة رصينة عن منطقة الخليج العربي ، في اوساط الرأى العام ، لتهيئته نفسيا وعلميا ، لمعركتنا المقبلة ، مع القوى المعادية ، في منطقة الخليج ..

كما ندعو الاستاذ قدرى قلعجي ، ان يجهد نفسه قليلا لوضع كتاب عن منطقة الجنوب العربي لتكمل الدراسة عن هذه المنطقة العربية المهمة ، بأسرها .. لان الجنوب العربي ، يشكل في واقعه امتدادا اصيلا ، لمنطقة الخليج ، وسيظل كتابه القيم عن « الخليج العربي » احوج ما يكون إلى ما يكمله ، علميا ، وقوميا . ولن يتم ذلك الا بتغطية منطقة الجنوب بدراسة قيمة جديدة ..

مختارات

ان العقائد والمبادىء المرتكزة على فلسفة معينة ومثلها الحركات ذات الدافع الروحي تصبح بعد بلوغها مرحلة معينة ، أمنع من أن يُقضى عليها بالقوة المادية ، اللهم الا في حالة واحدة ، هي ان تكون هذه القوة المادية في خدمة فكرة أو عقيدة فلسفية جديدة تلوح للناس بمشعل جديد .

* * *

عرف فلاسفة الاغريق المجتمع المثالي بقولهم :

حيث يكون الاعتداء على اقل مواطن اعتداء على الشعب
حيث يكون للقانون سلطة على السلطة العليا
حيث الغني لا يبطره الغنى ، والفقير لا يحطمه الفقر
حيث يعمل الجميع للخير ، ولا يعملون للشر
حيث يخشى المواطنون اللوم ، اكثر مما يخشون العقاب

* * *

ان تحويل الشعب الى امة خلاقة يفترض قيام وسط اجتماعي سليم يعمل على تنشئة المواطن تنشئة وطنية . فليس يستشعر الاعتزاز بالانتماء الى بلد ما الا من يتعلم في البيت والمدرسة حب الوطن ويقدر امجاده في ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد . ان الانسان لا يناضل الا من أجل ما يحب ، ولا يحب الا ما هو حري بالتقدير والاحترام . فكيف يطلب من مواطن ان يحب وطنا ويقدره وهو يجهل تاريخه ، ولا يشعر في كنفه ، بانه ينعم بما توفره الدول الأخرى لرعاياها من طمأنينة واستقرار ؟

من « كفاحي »

* * *

ان الخيبة المريرة تنتظر الذين يهجرون الحقل في القرية ويهبطون المدن في طلب الرزق عن طريق العمل الهين .

* * *

انعدام التربية البيتية في مجتمع ، يؤدي حتماً الى ارتخاء الوشائج التي تشد الابناء الى الآباء وتشد ، بالتالي ، العائلة الى الدولة .

* * *

ان الأمم لا تنجب العباقرة الا في الايام المباركة ، وما أقلها !!

* * *

ان عظمة التضحيات وحدها هي التي توفر للامة ابطالا جددا لا يترددون في البذل ولا يجبنون مهما يعترض سبيلهم من عقبات . وهؤلاء الابطال يجب ان نبحث عنهم في صفوف الشعب .

* * *

حلموا بسلم ابدي واستيقظوا على قصف المدافع !!

* * *

كان الجبن يرود حولنا متنكراً بزى العقل .

* * *

الأدب الضاحك



يقول اورسون ويلز ، ان الانكليزي ، عندما يصفق لاحدى العبارات في مسرحية من المسرحيات التي يشهدها فانه يصفق لنفسه لشدة سروره بأنه فهم العبارة .



التقى الممثل الفرنسي بيير فريني لدى بعض اصدقائه فتاة صبية شرحت له نظريتها في الزواج فقالت :

– ان الرجل الذي سأتزوجه ينبغي ان يكون محدثا لبقاً ويتقن الرقص والغناء . ويلازم البيت . ولا يدخن . ولا يشرب الخمور .

فقاطعها فريني بقوله :

– على ما ارى انما تحتاجين الى جهاز تلفزيون ، لا الى زوج !



أسس الكاتب الانكليزي « ه.ج. ويلز » جريدة مع صديقه «هنلي» فلم تصادف رواجا ولم يزد المشتركون فيها على قارىء واحد

وذات يوم كان ويلز وصديقه يطلان من نافذة مكتبهما بالجريدة فرأيا موكب جنازة يمر بالطريق فقال ويلز :

– ارجو يا صديقي الا تكون هذه جنازة صديقنا .. المشترك الوحيد !!

قال فيرلي : لزوجتي ذاكرة سيئة جداً ، فهي لا تنسى شيئاً !!

قال بوب هوب . قد قلقت جدا لكثرة ما قرأت من المقالات والابحاث في الصحف عن مضار التدخين . مما حملني على التوقف .. عن قراءة الصحف ؟!!

مثقفة

سألت احداهن الكاتب هنري جانسون :– قرأت على غلاف احد الكتب هذا العنوان : (أيام بومبي الأخيرة) ، فما كان سبب موته ؟ (وبومبي مدينة شهيرة في ايطاليا هدمتها حمم بركان فيزوف) فكان جوابه : الانفجارات !!!

الوقت منتصف الليل في موسكو . والسائح الاجنبي يتسكع في شوارع العاصمة الروسية . فلما قابل احد رجال الشرطة سأله :

– قل لي ، ياسيدي ، أين أقرب كاباريه ؟

فاجابه الشرطي بايجاز :

– في ستوكهولم !!..

سأل احدهم مارك توين في أول عهده بالكتابة : ماذا تفعل هذه الايام ؟

قال : اكتب قصصاً .

– وهل بعت شيئاً ؟

أجاب :

– نعم ، بعت ساعتي وملابسي وكتبي ..

لما كان كليمنصو يدير جريدة « الفجر » علق في غرفة التحرير هذا الاعلان :

« المرجو من حضرة المحررين الا يهموا بالرحيل قبل ان يستقروا في مكاتبهم !! »

مع الشمس

للشاعر: محمد الفايز

ما بالُ ليلك لا كأسٌ ولا قمرُ
وللقصائد لا وحيٌ ولا صورُ

.....

هل غاضَ في قاعكَ الصّخابِ هادرةٌ
وجفَّ فيك خيالٌ فيضُه هدرُ

.....

حاشا لحرفِكَ أن تخبو حرارتُه
وللعواطفِ أن يخبو لها شررُ

.....

بلى صمتُّ ولكنْ مثلما صمتتْ
سحابةٌ عاقَها من ثقلِه المطرُ

.....

إني ألشدُّ روحي في غمائمِها
حتى يحينَ لها حينٌ فتنفجرُ

.....

ستٌّ وعشرون من عمري أكابدُها
مع الجفافِ وعودي أخضرٌ نضرُ

.....

وما تعبتُ لأني لم أجدْ مددًا
سيانَ عنديَ ما يأتي به القدرُ

.....

وقد ألفتُ طوافي كيف ما اتجهتْ
بيَ الركابُ وبَغْي وجهةٌ سفرُ

.....

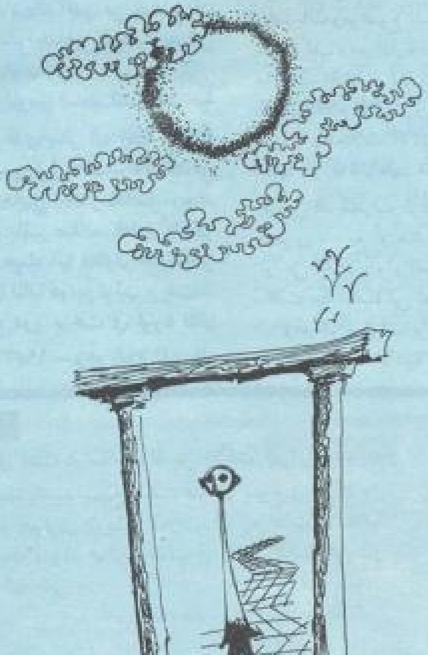
إني أقرّنُ جرحي ثم أمسحُه
فتحتَ كلِّ جراحٍ تكمنُ الفِكَرُ

.....

إذا تأبّدَ ليلٌ في غياهبِه
فإنني في دُجاهُ ذلك القمرُ

.....

وإنْ تعذّرتِ الأقداحُ عن عطشي
تركتُها للذي بعدي وأعتذرُ



مسرحية "العامة تذاكر الثورة"

لم يحدث منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ان هزت المانيا الاتحادية مسرحية ، وأثارت من الضجة ما جعل كل مواطن يتناول الموضوع حسب وجهة نظره السياسية والاجتماعية ، بقدر ما فعلت ذلك مسرحية « العامة تُذاكر الثورة » — لغونتر غراس — الذي يصفه النقاد بانه أقدر من يستطيع ان يفجر زخم اهتمام الجماهير المثقفة بما يعرض على المسرح .

ومنذ بداية الموسم استعد النقاد لمسرحية غونتر غراس الذي ينظر اليه ايضاً على انه العدو اللدود للبورجوازية الصغيرة في قطاعي المانيا ، وعلى جانبي الجدار الفاصل ، وقد ازداد الاهتمام بالمسرحية — العامة تُذاكر الثورة — من حيث انها تتناول عدوا آخر للبورجوازية في المانيا هو بيرتولت بريخت — أو على الاصح دور بريخت في ثورة المانيا يوم ١٧ يونيو ١٩٥٣ — وهو اليوم الذي ثار فيه العمال في برلين الشرقية وبقية القطاع السوفييتي ، وقد صور غراس كل ذلك بطريقته الخاصة متأثراً بمفاهيمه السياسية التي جاءت المسرحية تجسيداً لها .

ولعل المخرج اراد ان يمد نشاطه الى ما وراء المسرح فجعل كل ما يتعلق بالمعلومات ومحتويات وموضوع المسرحية سرا ، بالاتفاق مع المؤلف ومع ادارة مسرح شيللر ، ولكن ما ان انقضت ليلة الافتتاح الاولى حتى كانت اقلام النقاد تزرع صفحات الجرائد اليومية والمجلات الادبية في المانيا الاتحادية كلها ، وكما قال فلهم هاينكه : « ان مسرحية غراس قد شطرت الرأي العام في المانيا الى شطرين ، مع أو ضد ، ولا أحد بينهما او على الحياد » و « العامة تُذاكر الثورة — كانت حقاً المأساة التي تصور المأساة الالمانية » .

ومع ان بيرتولت بريخت من الشخصيات القوية في الحركة الادبية ، بل قد يعتبره البعض من أقواها اثرا ، الا ان غونتر غراس جعل منه الشخصية الرئيسية في المسرحية ، وهذه من العقد المتينة التي لا يقوى عليها احد مثلما يقوى عليها غراس بجرأته وسعة خياله وتمكنه من الأدب المسرحي وصوغ الحوار ، ذلك لأن بريخت هو الشخصية الكاملة التي يجد نفسه فيها كل ثائر نظري حين يحاول تصوير المتاهة التي يعاني منها ، والمتاهة في مسرحية غراس كانت يوم ١٧ يونيو ١٩٥٣ .

الحبكة التاريخية التي حولها غراس الى حبكة مسرحية كانت الحقيقة المعروفة بأن بريخت لم يساند الثورة ولم يأخذ جانب الثوار من ابناء بلده ، الذين رفعوا رؤوسهم لأول مرة في وجه الطغيان ، وانه انتقد وامتدح في الوقت نفسه كل ما تم في ذلك الحين بلغة غامضة وكلمات مبهمة المعاني ضمنها رسالة مفتوحة رفعها الى اللجنة المركزية للحزب .

كتب

صدرت في لندن دراسة مطولة عن الآيات القرآنية والتعاليم الاسلامية المتعلقة بالسيد المسيح ، تحت عنوان « يسوع في القرآن » . المؤلف هو جوفري باريندر المحاضر في الدراسات الاسلامية في جامعة لندن ، وقد صدر الكتاب في الشهر الفائت عن دار النشر « فابر أند فابر » .

• • • • • • • • • • •

أصدر البروفسور أ . ج . اربري ، استاذ اللغة العربية في جامعة كمبردج كتابين مطلع هذا العام ، تحت عنوان « الشعر العربي » ، هما عبارة عن دراسة تبدأ من القرن السادس فصاعدا حتى يومنا هذا ، وقد طبع الكتابان في مطبعة كامبردج .

وكذلك ترجم البروفسور آربري ديوان الشاعر الايراني فريد الدين عطار ونشره بالانكليزية بعنوان « الاولياء والمتصوفون المسلمون » .

• • • • • • • • • • •

ستصدر في الشهر المقبل عن احدى دور النشر الاميركية في نيويورك رواية مسرحية للكاتب الالماني غونتر غراس لم يعين اسمها بعد ، وتدور حول جنرال الماني كان يحارب قرب ستالينغراد لكنه خسر المعركة ، وبعد عشرين سنة — وقد أصبح يعمل مديراً لاحدى الشركات الاميركية — أقام في بيته نموذجا لساحة المعركة والجيوش المتقابلة بأسلحتها وآلياتها ثم راح يحركها ويناور بها حتى يعرف الاسباب التي أدت إلى خسارته المعركة .

• • • • • • • • • • •

بلغ مجموع الكتب التي طبعت في المانيا الاتحادية العام الفائت ٢٦ الف اسم منها ٢١ الفاً تطبع لاول مرة و ٥٢٨١ اعادة طبع . وقد دلت الاحصاءات على أنه طبع في المانيا خلال العشر سنوات الاخيرة ربع مليون اسم كتاب ، ٢٢٪ تقع في دائرة الادب .

• • • • • • • • • • •

وقد اقتطفت السلطات الالمانية الشرقية في ذلك الحين العبارات التي فيها تأييد لنظام الحكم القائم .

بعض النقاد الالمان اعتبروا المسرحية عملا فنيا رائعاً لم يقصد به غراس المأساة الالمانية — التراجيدي — بقدر ما قصد به تصفية حسابه الشخصي مع « الشخصية التاريخية والادبية « لبير تولت بريخت .»

المسرحية معقدة ، في خلقها جو ١٧ يونيو ولقد حاول غراس ان يضع على المسرح مسرح بريخت في برلين الشرقية في اليوم الذي انفجرت فيه الثورة ، وقد جعل العمال الثائرين يشقون طريقهم الى مسرح بريخت حيث كان بريخت نفسه يراقب التمرينات لمسرحية شكسبير « كوريولانوس »وقد طلب العمال تأييد بريخت لهم .

في اللحظة التي يدخل فيها العمال الى مسرح بريخت ، يكون بريخت قد وصل الى مشهد ثورة العامة على الدكتاتور كوريولانوس ، فتأخر في اعطاء الجواب ، وقد أظهر غراس ان بريخت قد حاول الافادة من دخول العمال لتكامل الصورة في مسرحيته .. ان بريخت يحول كل شيء الى مسألة جمالية ، انه للمسرح فقط ، وليس لأي شيء آخر .. مهما كانت اهميته .

الامر الذي اجمع عليه النقاد ، وعلى رأسهم هاينكه : ان مسرحية « العامة تُتاكر الثورة » قد بلغت ذروة الابداع في تصويرها تداخل الاحداث عبر مسافة زمنية سحيقة ،

ومزجها ثورة العامة في روما القديمة ضد كوريولانوس مع ثورة العمال في برلين الشرقية ، ففي هذا بلغت المسرحية القمة من حيث أداء العمل الفني في اطار تاريخي موزون ، غير ان هذا السمو وهذا البناء لا يكفيان ابدا لاخفاء موضوع المسألة الدقيقة وقيمة عرضها المسرحي ، خاصة حين يظهر العمال وهم يحاولون « شنق » بريخت .

في هذه النقطة وجد غراس بين النقاد من يرى فيها عملا لا ينسجم وروعة المسرحية ككل اذ سمح لنفسه ان تجرفها آراؤه الشخصية وعواطفه وانفعالاته التي لا ضابط لها في موضوع هو نفسه اطلق عليه — فنياً — اسم المأساة الالمانية .

حتى فولومينا — ام كوريولانوس — اختار غراس بديلا لها « هيلين فايغل » — التي جعلها امرأة انتهازية وصولية لا يهمها الا ان تحقق ما تريد ، وغراس كان ذكيا بما فيه الكفاية اذ اشار في مسرحيته الى بير تولت بريخت باسم « الرئيس » .

لم يجد غراس ما يبرر تردد بريخت في دعم الثورة ، حتى ولو أدرك ان لا فائدة من ثورة لم يهيأ لها .. « اني أكره الثوار الذين يشفقون ان يدوسوا على العشب »

وأخيراً تصل فولومينا التي تقول « للرئيس » — بريخت — : وانت ايضاً تقدر ان تكون لك صديقة أخرى ، لكنها هنا فتاة ثائرة استطاعت ان تفجر عاطفة بريخت وتأييده للثورة ، لكن الوقت قد مضى وفات الاوان فالثورة سحقت .

الناقد « ثيو دوتكن » يقول انه ليس من حق غراس ان يشوه بريخت الى هذا الحد ، العمل المسرحي ، لا يسمح بهذا القدر من الاساءة ، ويشدد على ان احدا لم يطلب من بريخت ان يكون الناطق باسم الثورة او الثوار ثم ان الثورة في برلين الشرقية ، كالثورة في هنغاريا بعد ذلك بثلاث سنوات ، قد أثبتت بما لا يقبل الجدل ان لا دعم الطبقة المثقفة ، ولا التدخل الثوري المباشر يمكن ان يكون العامل الحاسم في نجاح ثورة ما في العصر الحاضر ، في برلين الشرقية كما في هنغاريا كان الحكام الرابحين ، لأن القوة المجردة كانت في جانبهم ، الدبابات كانت العامل الحاسم والمنتصر الحقيقي .

وهناك بعض النقاد الذين يرون المسرحية هذه عملاً فاشلاً للغاية لانها حاولت ان تحلل الحقائق والاحداث التاريخية بموضوعية وتجرد كالعالم الذي يعالج ما بين يديه في المختبر ، التاريخ حي وليس شيئاً جامداً ، وقد تكون هذه الحقيقة فاتت غونتر غراس في لحظات انشغاله بتجسيد تخلي بير تولت بريخت عن مساندة الثورة في احلك الاوقات .

موسيقى

في مطلع شهر مايو المقبل ستقام احتفالات فيسبادن الدولية التي ستفتتح بدار اوبرا زغرب وستعرض اوبرا يـــك دام لتشايكوفسكي . وكذلك ستعرض في الاحتفالات اوبرا « الشيطان في القرية » لفران لوتكا .

ومن المقرر ان تشترك فرقة الباليــة البريــطانية من كوفنت غاردن بعرض رقصة ليوديليس وباليه كوبيليا . أما فرقة الاوبرا الوطنية في فيينا فستقدم « الناى الساحر » لموزارت ، وحلاق اشبيلية ، وستقدم الكوميدى فرنسيه « الرجل المهذب » لموليير .

• • • • • • • • • • •

سيقوم الموزع الموسيقى المجرى كارك ميلز لأول مرة باداء الدور الرئيسى في احتفالات رتشارد واغنر في هذا العام ، وقــد عرض كارل بوهم واوتمار سوتنر — مدير مسرح اوبرا برلين الشرقية التابعة للدولة — خدماتهما واستعدادهما للاشتراك في هذه الاحتفـــالات .

• • • • • • • • • • •

صحافة

بالتعاون مع عدة مؤسسات اعلامية ودور نشر في مدينــة هامبورغ ، تولت مجموعة من مركز دراسات التقدم الاقتصادي تمهيد الطريق لاقامة مركز صحافي — تلفزيوني واذاعي في هامبورغ يكون ملتقى الصحافيين من ارجاء العالم كافة ، على حد سواء ، ان جاءوا في اعمال ومهمات صحفية رسمية او زيارات خاصة .

وقال الدكتور جورج براون رئيس مركز دراسات التقدم الاقتصادى ان اختيار هامبورغ كان لموقعها الهام بالنسبة لاوروبا ، ولانها — تقريباً — في منتصف الطريق بين الشرق الاقصى واميركا عبر اوروبا ، بالاضافة إلى انها من اكبر مراكز النشر والطباعة في العالم ، وقد ابدت كبريات دور الصحافة العالمية ودور النشر هذا المشروع .

• • • • • • • • • • •

الرهينة

من عيون الشعر الألماني عن فريدريش فون شيلر (١٧٥٩ - ١٨٠٥) ترجمها عن الألمانية ونظمها بال...

تسلل موروس في خفية ،
وتحت عباءته خنجره ،
إلى حضرة الطاغية ...
ديونيس ... رأس الطغاة .
فباغته ثم بعض رجال الدرك .
وجروه للملك الأعظم
فبادره حانقاً عابساً
« تكلم ... علام حملت السلاح ؟ »
أجاب : « لتحرير بلدتنا من شرور الطغاة »
فقال : « تبا إذاً لتكفّر بالصلب عن نيتك .
جزاء وفاقا »

.....

فما كان منه سوى أن أجاب :
« أنا لمستعد على أهبة .
ولن أتقدم منك لأحظى لديك بأي رجاء
ولكن إذا شئت تسحبها مأثرة
لديّ .. فأمهل ثلاث ليال بأيامها
لأسلم أختي فيها إلى بعلها
وها أنا أترك هذا الصديق لديك رهينة
إذا ما تخلفت .. بادر إلى شنقه »

.....

ولاح ابتسام خبيث على شفة الطاغية .
وأطرق في لحظة وأجاب :
« منحتك ما تطلب .
ثلاث ليال بأيامها .
ولكن .. لتعلم .. إذا ما انقضت مهلتك ..
ولم تك قد عدت فيها إلي ...
سأشنق صاحبك المصطفى .
وأسلم القاضية للمنون ...
وتسقط عنك العقوبة »

وأقبل موروس يسعى إلى صاحبه ،
وقال : « لقد أصدر الطاغية
أوامره الصارمة
بأن أدفع الروح فوق الصليب
جزاء الذي قد جرؤت فعاهدت نفسي عليه
ولكنه أمهلني مهلة
لأسلم أختي أناء ها
إلى بعلها المنتظر ...
فهل لك في أن تظل رهينة
لدى الملك حتى أعود فتفك الرباط ؟ »

.....

وعانقه صاحبه
ولم ينبس ببنت شفة .
وسلم صاحبه نفسه للملك ...
وموروس شد الرحال .
وإذ بزغت شمس ثالث يوم ...
وقد زفت شقيقته للعريس ...
رأيناه يمضي بعيد المسير بقلب قلق
مخافة أن يتخلف عن موعده .

.....

وراح المطر
يصب شآبيبه من صنوف الضرب ...
تدفقت الأنهر بين الجبال ...
تفجرت الآبار فوق التلال .
فلم يك في حيلته
سوى أن يحث رحاله
بضفة نهر تعاظم جسره
بفعل السيول الغضاب
وهوج الرياح
وزمجرة الموج من حوله
فلم يبق قوس به أو ركيزة



عصام حماد

وبدرع صاحبنا الشاطئ
ذهوبا وجيئة ...
يحدق في الأفق المدلهم
ويستطلع السحب أنباءها ،
وأصداء صيحاته
تردد في جنبات الطماح .
وليس على الشط من سامع
قمين بأن يوصله
إلى منتهاه البعيد .. القريب
ولا من مجيب
سوى السيل يهدر في جريه
إلى مستقر له في خضم البحار .

.....

وأفضى على الضفة الموحشة
ينوح ويندب آماله
ويرفع كفيه نحو زيوس
ويضرع :
« الا فلتكف البلاء المحيق ...
فساعاتي اليوم معدودة .
وها هي ذي الشمس
تدرج نحو أعالي السماء
فإن آذنت للمغيب
قبيل بلوغي المدينة
سيلقى صديقي الصدوق إذاً حتفه . »

.....

ولكن تلك السيول السفيهة
تثور وترغي ولا ترعوي
وأمواجها لا تني تزبد
وتمضي الدقائق ... تمضي سراعا ،
وتبلغ خشيته المنتهى ،

فيقفز من ثَم في جرأة
إلى لجة الغيهب الفائر المائر ،
ويمضي يشق العباب
بساعده ... والاله هو المستعان .

• • • • •

ويبلغُ من ثَمَّ شطَّ الأمان ،
ويمضي يحث الخطى دائبا
وتلهج أعماقه بالثناء
وبالشكر للمنقذ الاعظم .
وتفجاه عصبة من لصوص
ترامت عليه من الغابة التالية ،
فسدت عليه طريق العبور
وحدت على الكُرْه من سرعته
ملوحةً بالعصى ... ومنذرة بالثبور

• • • • •

وصاح بهم حانقاً :
« رويدكم ... ما الذى تبتغون ...
وما في يدى غير روحي ...
وروحيَ دينٌ علي لسلطاننا الطاغية ؟ »
ومال على الرجل الاول ،
وبادر فاستل هراوته ،
وقال : « اليكم عنى .. فانى
احاول انقاذ مَن لم يضن علي بروحه . »
وجندل منهم ثلاثة ...
وشمر من ظل منهم ذيول الفرار .

• • • • •

وأرسلت الشمس في قيظها
شواظاً من الحمم اللاهبة ...
وهدَّتْ قواه الجهود العنيفة واللهفة المضنية
وأنهكهُ الظمأ القاتل .
فأقعى على ركبتيه يتمتم :
« إلهى ... ترفقت بى يا الهى ،
فخلصتنى من أذى المجرمين ،
وأنقذتنى من غمار السيول ،
وقدت خطاى إلى هذه البقعة الطاهرة ...
فما لك تتركنى بعد هذا أموت
هنا حتف أنفى موتَ البعير ...
ويقضى صديقى الحبيب هناك مكانى ؟ ؟ »

• • • • •

ولكنْ صه ....
هنالك تأتي إلى سمعه حشرجة ...
على مقربة ...
خرير انسياب مياه خلال الصخور .
ويصغى ... وينظرُ نحو المكان ...
يقينا ... هنا الصخر يسفر عن نبع ماء
وديع يسبح باسم الحياة .
وتغمره فرحة طاغية ...
ويجرى يرطب أطرافه بالمياه .

• • • • •

وترمقه الشمس بين اخضرار الغصون ،
وترسم فوق بساط الدمقس النضير
ظلالاً من الشجر الباسق .
وشخصان ثَمَّ من السابلة
يجوسان عَبْرَ الطريق .
ليَختفِ فوراً اذاً ،
ويُنصتْ إلى ما يقولانه .
وتصدمُ أسماعه كلمات يفوه بها واحد منهما :
« ... اظن الكفيلَ يُساق خلال دقائق للمشنقة »

• • • • •

وطار خفيفاً يحثُّ الخطى
يطارده قلق عارم ...
وبين خيوط الشفق الغارب



تبدّتْ على البعد ابراج سرٌّ قسنطة ،
وأقبل فيلشتراتُس عليه
على عهده في حراسة دور المدينة
وفي الزئرة ...
فلا بد من ان يميزه واثقا ،
ولا بد أن يخاطبه معجبا :

ه

« لترجعْ ... لترجع ... فلن تنقذه ،
وفاتت عليك ... وفاتت عليه .
فهلا نجوْتَ بجلدك ...
تقضّى نهارٌ كما ساعةٌ ساعة
وطال عليه انتظارُك
ولم يكُ يفقد فيك الأمل
ولم تكُ سخرية الطاغية
لتنزعَ من نفسه الثقةَ المُطلقة . »

.....

« اذا هو مات ... وفات الاوان ...
وأعجزني ان امدَّ يدي لانقاذه ...
فاني سأجرع حتما كؤوس المنون معه :
فلن أشفي اليومَ للطاغية
غليلا بأني خنتُ الامانة .
ليذبحْ شهيدين لا واحداً كيف شاء ...
ولكن ليؤمنْ بأن العقابيل للحب وصدق الوفاء .

.....

وها هي ذي الشمس تجنحُ نحو المغيب ...
وها هو ذا واقفٌ عن كثب
يراقبُ رفع الصليب .

وشتى ضروبِ الخلائق من حوله
تغض بأبصارها خاشعة ...
وطيف يُجرّ المريض بأعلى الحبال .
فيصرخ وهو يشقّ الطريق



خلالَ الجموعِ الكثيفـة :
« أنا ها هنـا ...
لأشنقَ أنـا ...
أنا ها هنا الأصل ... وهو الرهينة . »

.....

ويحتشدُ الناسُ كالحالمين ..
وقد خلبَ المنظرُ الفذُ ألبابَهُم .
وضمَّ الصديقُ الصديقَ إلى صدره ،
وضجّتْ عيونُهما بمعاني الأسى .. والحبور ،
ولم تبقَ واحده من ألوف المقل
جفتها الدمـوع ...

وسرعان ما نُمِيَ النبأ المذهلُ ،
إلى مسمع الملكِ الأعظم .
فخالجه أثرٌ باهتٌ من بقايا الضمير .
وما كان منه سوى ان أمر
بأن يهرعا للمثول لدى عرشه .

.....

وفي السدة السامية
لدى المَلِك .. والعرش ... والصولجان ..
تفرس في الصاحبين ملياً ، وقال :
« أرى انْ قد اجزتما الامتحان ...
ومس حديثُكما مهجتي .
اذاً فالوفاء حقيقةٌ واقعة ،
وما هو مما يلوك اللسان ،
من اللغو واللغط الفارغ .
الا فاقبلاني رفيقَ طريق ،
وثالثٍ هذا الرباط الوثيق .
الا حققا ليَ حلمَ الزمان ...
ألا تقبلان .. ألا تقبلان ؟؟؟ »